

رحلة ..

في زمن اللامعقول..!!

٢/٨/١٩٩٠ الى ٨/٣/١٩٩١م

سرد وتوثيق
فهد السيّار

محامي
سعودي.....
تحت الاحتلال..!!!

رحلة.. في زمن اللامعقول..!!

٢/٨/١٩٩٠ الى ٨/٣/١٩٩١م

سـرد وتوثيـق
فهـد السيـار

اهــداء

الى كل من دافع واســتــشــهــد في ســبــيل الحق
الى كل من أسرِ بســبب رفــضــه الظلم وطلب الحق
الى الذين لا يزالون .. أسرى ومرتهنين لدى نظام اللا حق!!....
من القلب دعـاء... الى الله سـبـحـانه وتعـالى .. مـالك
البــقـــاء.. بفك أســر وارتـهـان من ظُلِم بســبب إيمانه
بالحق .. والعــدل ... والمســاواة لخــيــر ابن آدم وحــواء

شكر وتقدير.......

بداية الشكر .. كل الشكر .. لمن شـاركنى القلم والفكر .. نبدأهم بالأستاذ نجيب الوقيان المحامي، على تفهمه ومساندته المستمرة لنا طيلة فترة الاعداد والكتابة.. ولأسرة مكتبه على التشجيع والإفادة... كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من الفنان نادر الفرس الذي أبدع برسوماته أثناء أسره.. وللفنانة القديرة جميلة جوهر على ابداعها الفني والمنقوش على الغلاف والذي أطلقت على عملها هذا اسم «رحلة... في زمن اللامعقول».

مع خالص تحياتي وتقديري ،،،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

عزيزي القارئ..

..لك وللتاريخ اكتبُ.. أحداثا ووقائع رأيتها بأم عيني وسمعتها بأذني وعشتها بجسدي ووجداني.. احداثا غير معقولة !!.. وقعت في فترة كانت الكويت فيها تقريبا غير مأهولة !!

وانتهت بعد ما أصبحت جميع حجج «اللابشر» غير مقبولة!! حين اجتمع تحالف العقل والمنطق والقانون بقيادة القوة المهولة!! التي صاحت في ساعة ودقيقة وثانية من يوم ما. لا للاحتلال.. لا لقتل القانون.. لا للهمجية.. وليعش الانسان من جديد حياته في أمان واستقرار.. فليولد الطفل ويعش بارادة ربه حتى الكهولة.. في وطنه.. في بيته .. آمناً.. بعيدا قليلا عن مجتمعٍ جارْ.. كل افكار نظامه الحاكم مهجورة!!!

وفي هذه الرحلة سأحاول رد بعض جميل هذا البلد علي من خلال ما سأسطره بعناية فائقة وبمقارنة اجتماعية وقانونية بين ما كانت الأمور تسير عليه قبل الاجتياح وأثناء الاحتلال.. محترما قلمي وفكري والناس أجمعين.

إنها رحلة الصمود مع الأخوة الكويتيين ضد العدو.. الإصابة.. البطش.. الايثار.. المغامرة.. اللاقانون.. الأسر.. الإفراج.. ومن ثم العودة.. وحتى نهاية تلك الرحلة.. اقسم بالله العظيم أن أكتب ما حدث بالضبط دون مبالغة أو تهويل.. في حلقات مسلسلة إن شاء الله وبعنوان رئيسي «رحله .... في زمن اللامعقول» .. من ١٩٩٠/٨/٢ الى ١٩٩١/٣/٨م.

سجل يا زمن لهذه الأرض تاريخها، وأعمال ابنائها، وما شهدناه من اعمال قاموا بها تسمى «بطولة».

فهد

رحلة في زمن «اللامعقول».. !!
٢/٨/١٩٩٠ الى ٨/٣/١٩٩١م

بـدايـــة كابـوس الانتقـــال..

(١)

من العيش في دولة قانون .. تنظم الحياة فيها قوانين ولوائح وقرارات تنظيمية للحق والواجب بحيث ينعم الجميع بالأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي.. الى.. ..بداية كابوس غير معقول.. أصبح الفرد فيه محكوما « مؤقتا » من قبل نظام ديكتاتوري.. عسكري .. همجي .. جاهل.. وجائع..

كان المرء يتساءل دوما: هل يعقل أن ما نراه يحدث الآن واقع؟.. أم كابوس جاثم على صدر كل من كان متواجدا في هذه البلد آنذاك. وقبل ذاك الأوان؟.. فبعد أن كان الالتزام الأخلاقي والقانوني المنظّم يحتّم على الفرد أدبيا وقانونيا، أن يقف على سبيل المثال أمام إشارة مرور تضيء في جانبه باللون الأحمر وفي ساعة متأخرة من الليل.. والجهات الثلاث الأخرى من إشارة المرور ذاتها خالية تماما من المركبات التي تسير على الطريق. الى عدم التزام من الغازي واستهتار بأرواح البشر وتعريض حياتهم للخطر بِخَرْقِهِ الجاهل لأحكام قانون المرور الذي سُنَّ بعد دراسات علمية مستفيضة من قِبَل جهاتٍ مسؤولة وعديدة فيها من وزارات الدولة: الداخلية ، الصحة ،التربية، التخطيط ، العدل ، التعليم العالي ،وغيرها من الجهات المتخصصة في كيفية القضاء على ظاهرة حوادث المرور حفاظا على الفرد في بقائه حيا !! ولا أدلّ على هذا الموقف من ذلك الفيلم التلفزيوني الواعي حول الطريق وكيفية احترام السائق لقواعد المرور فيه ومخاطر عدم ذلك الاحترام للقانون من احتمال موت أو عاهة مستديمة أواصابات خطيرة.. أعتقد إن لم تخني الذاكرة أن اسمه «حرب الشوارع» . بدأنا نسجّل ونوثق في الذاكرة بداية كابوس الانتقال من زمن العقل

والمنطق الى زمن اللامعقول في اليوم الثاني للغزو عندما كنت أقود السيارة ومعي أهلي، وبينما كنت أهمُ بدخول الشارع التفتُ الى الشمال لأرى ان كانت هناك سيارات قادمة، فلم أجد أياً منها، وما أن خرجت حتى رأيت دبابة تسير في عكس اتجاه السير الصحيح اى باتجاهى ومَن بصحبتى ومن هم يركبون السيارات خلفي !! طبعا ركبت الرصيف الأيمن للشارع لأنقذ عائلتي ونفسي من الموت المحقق..!!

ثمانية شهورٍ طويلة عشناها مع الفرق بين مفاهيم ومثل عامة ... تكون سائدة في كل المجتمعات الانسانية مثل الحق.. العدل .. المساواة.. الانسان.. الخطأ والصواب.. النجاح والفشل.. معنى الحياة .. وبين البطش والتنكيل.. الجرائم المنظمة.. وغير المنظمة.. ومن الحياة المدنية القانونية الهادئة والمستقرة ،الى الحياة العسكرية الديكتاتورية... التي لا يأمن فيها الفرد لا على نفسه.. ولا عرضه . ولا ماله..!!

صحـــتك بالـدنيـــا
(٢)

تعرض كاتب هذه الكلمات الى تجربة شخصية مثيرة للغاية .. أليمة جدا!! وجميلة جدا في الوقت نفسه!!

حينما استمر الكابوس في عرضه لزمن «اللامعقول» بقيادة «اللابشر» مع استمرارنا الارادي بالمواجهة بين الحق والباطل، وبدون الخوض في تفاصيل الواقعة التي سأرويها ..«لأنها وحدها تجربة مثيرة أخرى.. لا نفضل الآن الحديث عنها لأسباب شخصية» ولكن.. تعرضنا في السابع من أغسطس عام ١٩٩٠م الى الإصابة بطلق ناري في قدم الرجل اليمنى.. لتبدأ معها رحلة مثيرة مع الصحة والعلاج.. فالآن وبعد أن كنا فيما قبل الثاني من أغسطس من عام ١٩٩٠.. لا نُصابَ بِمِثْلِ هذه الإصابات لعدم حاجتنا الى التعامل مع السلاح، فالمجتمع آمن ومستقر والسلاح بيد أناس شرعيين متعلمين متدربين.. الجيش .. الشرطة.. والحرس الوطني.. أصبحنا الآن في مجتمع«مؤقت» يحتاج الفرد فيه إلى هذا السلاح لاستخدامه في الدفاع عن النفس والعرض.. نُقلتُ بعد الاصابة لاجراء عملية جراحية عاجلة في مستشفى مبارك الكبير.. خرجت بعد ٢٤ ساعة وعلى مسؤوليتي خوفا من افتضاح أمري وبالتالي غيري ، لدى قوات «اللابشر» !!!، بعد أن رأيت بأم عيني رجالاً وشباباً مصابين جميعا بقذائف الغزاة ورصاص بنادقهم.. مقطعي الأرجل.. والأيادي .. والأفخاذ.. وأجزاء من الأكتاف وغيرها..كل هؤلاء وأنا منهم وعددنا يقارب العشرين، وبسبب عدم وجود أدوية أو أجهزة طبية كافية للعلاج.. تم تجميعنا في غرفة طولها على ما أذكر ١١ متراً × ٥ أمتار تقريباً !! وبعد الخروج من المستشفى بساعات ثلاث حضرت القوات

الغازية وألقت بمجموعة كبيرة من المصابين ، على باب المستشفى بحجة أنه سيستغل لعلاج اصابات أفراد العدو الناتجة عن أعمال شباب المقاومة الباسلة آنذاك.. وبسبب حوادث المرور التي كانت تقع بين «اللابشر» وبسببهم!!. هم يؤمنون بأن من أخرجوا من المصابين هم غير بشر، ولا يستحقون الحياة، وأن جنودهم هم من يستحق العيش والحياة.. لمزيد من القتل والبطش والشر!!

ومن ألم الاصابة والعملية الجراحية.. الى الجانب الجميل من التكاتف والانسانية والايثار وروح الجماعة صاحبة الحق .. مرحلة العلاج. حيث وبمناسبة الكتابة للتاريخ أسطر شكري العميق والجزيل الى الله سبحانه وتعالى ولكل من قام بمساعدتي في تجاوز هذه الأزمة .. وأخص بالذكر الدكتورة قنال عبد الحميد الصايغ وزوجها الدكتور أحمد من ناحية والدكتورة أحلام حسين الصايغ وزوجها السيد وائل المضف من ناحية أخرى، على اهتمامهم بحالتي الصحية آنذاك وهم مخاطرون بأرواحهم وأوراح أبنائهم في سبيل حق الانسان في الحياة.. عندما كان العلاج يتم بمنازلهم ، بأدوية قليلة يحتفظون بها ، لمعالجة الحالات المماثلة..

إن الفرق شاسع بين من يساعدني على أن أكون حياً كي أعيش حياتي، وبين من يريدني أن أعيش لكي يبقى هو حيا!! حتى لو قتل كل الكويتيين!!

مــن هــم.. اللابشـــر؟!!
(٣)

هم كل من آمن ايماناً مطلقـاً بالنظام العـراقي الذي يمثله صـدام حسين.. بجميع مبادئ نظامه .. سواء من العسكريين .. أو .. المدنيين .. علماء .. شعراء.. خطباء مساجد . قضـاة .نواب . مهندسين ..محامين. وغيرهم ممن لم يتعود التعايش مع من آمن بالحق.. والعدل.. والمساواة !! هذه الصفات تجتمع في نفس المجتمع الذي وجد ويوجد به من لا يستحق أن نعمم الوصف عليه.. فمنهم شرفاء.. يَعونَ الحق والباطل. الصواب والخطأ.. ولا أنسى ما حييت تلك العائلة العراقية التي شاركت في كتمانِ أمر إصابتي بطلق ناري ضمن مجموعة من أفراد المقاومة الكويتية آنذاك!!..

وآنذاك فقط آمنت بخطأ الايمان بأن «الخير خاص.. والشر عام» !! .. والحال ذاته بالنسبة الى الشرفاء من فلسطين.. الأردن .. السودان.. فمنهم الشهيد الفلسطيني «سامر» والشهيد الأردني «أشرف» والدكتور السوداني «عبد الله ».. وغيرهم.. وبنفس الأمانة التي تنقل معايشتنا لوضع سيء سابق.. بنفس الامانه أيضـا ننصف البعض منهم ممن لم يرضَ بسيادة الباطل.. على الحق!!

يَـومَ خُطـبة جُمْعَتِـهم !!
(٤)

من المقومات الأساسية للمجتمع التي وردت في دستور دولة الكويت.

– الملكية وراس المال والعمل مقومات اساسية لكيان الدولة الاجتماعي والثروة الوطنية، وهي جميعا حقوق فردية ذات وظيفة اجتماعية ينظمها القانون (م١٦).

– للاموال العامة حرمة،وحمايتها واجب على كل مواطن (م١٧).

– الملكية الخاصة مصونة، .. ولا ينزع عن احد ملكه الا بسبب المنفعة العامة في الأحوال المبينة في القانون. ويشرط تعويضه عنه تعويضا عادلا (م ١٨).

– المصادرة العامة للأموال محظورة ولا تكون عقوبة المصادرة الخاصة الا بحكم قضائي (م١٩).

تنظم القوانين الكويتية بما يتماشى وأحكام الدستور .. الملكية الخاصة، حفاظا عليها لصالح أصحابها ، لمزيد من الاستقرار لهم وللمجتمع.... وكذلك حرمت دخول المنازل وتفتيشها ومصادرة ما فيها من منقولات، الا بناء على حكم قضائي نهائي وباتّ، وكذلك حرمت القوانين أيضا قتل الشخص نفسه وغيره وعاقبت على الاتيان بهذه الأفعال بعقوبات شديدة تصل الى الإعدام في أسوأ حالاتها..!!

وفي أواخر شهر أغسطس لعام ١٩٩٠م ، وبعد أن شاهد الجميع مظاهر النهب والسرقة والسلب والقتل وهتك الأعراض وغيرها من الجرائم البشعة التي كان يرتكبها «اللابشر» في حق هذا المجتمع وأهله.. وكان الصامدون قد لجأوا آنذاك.. الى نوع من المقاومة السلمية، المدنية ، الروحانية. حين اتفق الجميع على مناداة الله سبحانه وتعالى ومناجاته لتخليصهم من الظلم والقهر الذي وقع عليهم. .بصوتٍ واحد ..ومن على أسطح المنازل.. وفي وقت واحد يخرج لفظ الجلاله «الله اكبر» من افواههم بإيمان واماني صادقة ، مرفوعة من صاحب حق .. منحه الخالق

له.. كانت الرهبة تسود ظلام الليل الاحمر، والكثير الكثير من أصوات البنادق والرشاشات الفاشلة تُسْمَعْ... لحظة لجوء العبد الى ربه.. وينتهي الليل ببطء شديد ليأتي اليوم التالي وهو يوم الجمعة وبعد الصلاة في الكويت، وبداخل المنزل الذي كنت متواجدا فيه آنذاك، مع اخوة وأخوات أفاضل بقيادة مدنية لأم عطوف. بقربها بناتها وامها.. (ولكن ابنها خارج الكويت ولم يثنها ذلك عن أداء دور متميز في الشؤون المنزلية للجميع حتى لشباب المقاومة..) وبعدد يكاد يصل الى العشرين مشاهداً ..نقل التلفزيون العراقي الرسمي صلاة جُمُعَتِهِمْ من بغداد.. حين وقف الخطيب. ينادي المصلين هناك ويتساءل :- لماذا العالم لا يريدنا أن نعيش كما نريد..؟؟ ماذا فعلنا.. ؟؟ هل قتلنا أحداً؟!! ويجيب العشرون مشاهداً الذين لهم حق الاجابة بنعم أو لا وفي نفس اللحظة وبلهجة كويتية خالصه:- لا .لا .لا من يقول؟(طبعاً بمفهوم المخالفة) . هل سرقنا أحداً؟ ويجيب العشرون مرة أخرى لا . لا . لا من يقول !! هل نهبنا أحداً؟ لا .لا .لا من يقول !!! اذن في زمن لا معقول ... يكون فيه صدام حسين ... عبد الله المؤمن !!. لا عجب. من صلاة الجمعة هناك!!

قيمة الفرد.. هنا وهناك!!
(٥)

كل المجتمعات الانسانية المتحضرة، متفقة على اختلاف معتقداتها وعاداتها، على أنه في حال وقوع حادث تصادم بين مركبتين أو أكثر، نتج عنه اصابات بليغة بأحدالركاب أو المارة، أن ينقل فورا الى أقرب وحدة علاجية لاجراء الاسعافات الطبية الأولية تمهيدا لعلاج هذه الاصابات بصورة دقيقة وحفاظا على حياة الفرد ذات القيمة المقدسة بالدرجة الأولى، حتى لو كان هذا المصاب في طريقه الى العمل أو الواجب أو أي جهة كانت. هذا ما كان سائدا في الكويت قبل غزو «اللابشر» لها ولا يزال كذلك ولله الحمد، بعد تحريرها.. أما هناك.. وفي عقر دار اللامعقول حدثت لنا رواية شاهدناها وعشناها لحظة بلحظة..

ففي شهر سبتمبر من العام ١٩٩٠م .. وبما أني الوحيد من بين اخواني ووالديّ، المتواجد في داخل الكويت.. والعالم الخارجي آنذاك يعرف تماما ما يرتكبه «اللابشر» في هذه الأرض المسالمة.. يقرر أخي الذي يصغرني سنا « رحمه الله في ٣٠ مايو ١٩٩٢م».. أن يدخل الكويت عن طريق البر ليساعدني في الخروج من الكويت الى بلدي المملكة العربية السعودية!!ولسوء حظه ومن معه.. ألقى جنود «اللابشر» القبض عليهم لدى دخولهم الكويت عن طريق الوفرة ورحلوّهم الى سجون «البصرة» ليحاكموا بتهمة دخول الأراضي العراقية بغير طريق شرعي «تسلل»!!..

وبعد مرور عشرة أيام علمت بما سبق سرده عندما أُطلق سراح ابن عم لي كان قد اعتقل مع أخي، وكونه يحمل هوية كويتية تم اطلاق سراحه ومن معه ممن يحملونها ، بينما لم يطلق سراح أخي لأنه أخفى هويته السعودية، عندما رأى معاملة «اللابشر» الخاصة جدا !!،

لهم في المعتقلات العراقية!!

عندها قررت الذهاب الى البصرة لأحاول أن اخرج من خاطر بنفسه كي يخرجني من هذا الواقع اللامعقول..

وبينما نحن على أبواب البصرة.. تصادف أن كان قد وقع للحظات خلت. حادث تصادم مركبتين عسكريتين.. نتج عنه أن أصيب جنديان بجروح خطيرة.. واستدعى الامر ايقاف سيارة تنقلهم الى المستشفى العسكري بالبصرة!!.. فكانت لسوء وحسن الحظ سيارتي التي كان يقودها صديق، أول سيارة تمر بهذا الطريق بعد الحادث.. قف .. لا تتحرك.. الرشاشات مُشْهَرة نحونا .. والامتثال الى ما أكرهنا عليه أنذاك .... حصل، وهو الا أذهب لاخراج أخي بل لاسعاف اثنين من جنود «اللابشر» !!..

أمرنا الى الله. ركب الاثنان في الخلف وانطلقنا بالوجهة التي يحددانها على اعتبار أننا لا نعرف أين نحن آنذاك!! يمين.. شمال..خرجنا عن الشارع العام.. طريقنا الى الصحراء، وصراخ المصابين يعلو، والدماء تغرق السيارة من كثرة الجروح .. وفجأة !! طُلِبَ منا الوقوف امام وحدة عسكرية ليخرج من احدى الثكنات ، ضابط ومجموعة من الأفراد ، ويسكت الصراخ في الخلف فجأة.. ويخاطب أحد المصابين ضابطه:« سيدي ، إحنا سوينا حادث قبل البصرة والسيارة مقلوبه وما تمشي. احنا رايحين مستشفى البصرة العسكري .. عُودْ شيلو السيارة»!!! ومن ثم أكملنا السير الى طريقنا الأصلي المؤجل .. مستشفى البصرة العسكري... لنصل على ما أعتقد قبل أن يموتا بخمس

الى عشر دقائق!! حيث أنزلناهما وعدنا بخفّي حنين عندما كان المسؤول عن قضية أخي ذاهبا الى بيته ... فقد انتهى وقت العمل الرسمي..!!! هنا يظهر الفرق واضحا بين الانسان واللابشر!!!..

ملحوظة :- هل تتخيل عزيزي القارئ ماذا كان سيحل بنا لو أن هذين المصابين ... كانا قد قضيا نَحبَهما في الخلف من داخل سيارتي.. وأنا في البصرة؟؟!!

حياة الانسان = حذاء!!
(٦)

بعد أن بدأت أتماثل للشفاء من إصابة المسدس السالف بيانها في حلقة سابقة، عدت الى المنزل الذي كنت والعائلة نقطنه في منطقة سلوى قبل الاجتياح العراقي لدولة الكويت .. كانت هناك نقطة تفتيش مقامة على أحد الجسور المقابلة للمنطقة .. وفي تلك الفترة كنت ألبس بدلات رياضية كي يسهل علي استخدام العكاز أثناء المشي.. وعندما أتاني أحد الجنود أثناء توقفي أمام نقطة التفتيش ذاتها،.. قال لي:- ها .. أنت رياضي.. ماذا تلعب؟.. فأجبت :- كرة قدم. لماذا تستخدم العكاز؟.. أجبت:- بأني مصاب من جراء حادث سيارة!!.. يدخل بعدها بالموضوع ويطلب مني أن ازوده بحذاء رياضة قديم « شرط» كي يستخدمه.. فقلت:- كم مقاس رجلك؟!!.. فرد علي بأنه لا يعرف ما اذا كان «٧» أو «٨»؟!! فقلت: حسنا.. في المرة القادمة سأحاول أن أجلب لك هذا الحذاء «القديم» ، الا تريد حذاءً جديداً ؟فأجاب : لا . لا ، أريده أن يكون قديما !!! ..حسنا.. الى اللقاء .. وللعلم لم تكن في تلك الفترة قد بدأت المعارض التجارية بعد ببيع مختلف البضائع، وأنا في الوقت نفسه مقاسي أكبر مما طلب فهو «٩»!! ما الحل اذا؟ وأنا أضطر الى المرور من هذه النقطة يوميا لكي أجلب طعام العشاء من منطقة قرطبة؟!. استطعت أن أقنعه بالتأجيل إلي اليوم الثاني والثالث.. وفي اليوم الرابع .. هددني هذا الجندي بقوله:- اذا ما جبت لي الحذاء راح أكتلك «أقتلك»! فقلت:- حسنا.. وتحركت.. بعدها قلت لنفسي والفكر سارح بما سَمِعَتْهُ الاذن وأنا في السيارة:-هل أصبحت حياة الفرد في هذا المجتمع «المؤقت» تساوي حذاء!... هل هذا معقول؟!!

لا عجب... لأنه في نفس مكان وقوع هذه الحادثة. رأيت «اللابشر» يمزقون آلاف الدنانير الكويتية التي كانت بحوزة المارة عندما صدر قرار عراقي يمنع التداول بهذه العملة.. حينها كانت أرضية الشارع قد تحولت من اللون الأسود الباهت الى البنفسجي والأخضر والأزرق والبني..

عـدم.. الآداب العامـة.. عندهـم!!
(٧)

اعتدنا قبل الثاني من أغسطس لعام ١٩٩٠م مشاهدة مناظر جميلة نظيفة، راقية،.. في أنحاء كثيرة من دولة الكويت وذلك مثل الشوارع الرئيسية والسريعة التي تحيط بها وعلى جوانبها، مساحات صغيرة مزروعة .. البعض منها مكسو بالورود والنباتات المتسلقة.. والبعض الآخر مزروع به بعض الشجيرات المزهرة بشكل هندسي متناسق.. يُسعِد العيون.. ! وأثناء ما كنت أهم بالمرور من الشارة الضوئية التي ، تفصل بين المناطق التالية: الجيوان -الرقعي- الري- الشويخ الصناعية.. وكان ذلك في اكتوبر من العام ١٩٩٠.. وحوالي الساعة التاسعة مساء.. كنت في طريقي الى أحد الأماكن التي كنت أسكن فيها.. آنذاك.. بمنطقة الرقعي.. واذا بمجموعة تقدر بـ عشرة كائنات من «اللابشر» ..تخلع ملابسها الخارجية وتكتفي بالسروال البيج «يفترض أن لونه أبيض».. وتعوم في نهر الماء «الصليبي».. المخصص قبل الغزو .. لري النباتات والأشجار المحيطة بالشوارع دون النصح للبشر بشربه أو الاغتسال به، بسبب تأثيره على صحة الانسان!! نظرا لعلو نسبة الأملاح به !!.. هذا المنظر وبالطبع في دولة القانون.. معاقب عليه أدبا وقانونا.. بسبب مخالفته للآداب العامة، ومراعاة لعادات وتقاليد المجتمع !!

لا عجب إذاً ، في بقعة من الأرض حكمها «مؤقتا» نظام جائر.. جائع وجاهل.. لم يعد فيه، هناك فرق ..بين الحرية بمفهومها المنصوص عليه في الاعلان العالمي لحقوق الانسان والمواطن الذي أصدرته الثورة الفرنسية في ٢٨ أغسطس لعام ١٧٨٩م والمحترم دوليا. وبين مفهوم النظام «اللامعقول».. الجاهل لمعنى الحرية.. ومعنى الآداب العامة !!

الـملل .. من الأمـــل!!
(٨)

تستمر الحياة كئيبة.. داخل الكويت المحتلة، ولأسباب لن يتسع المجال هنا لذكر الا البعض منها.. كالايمان الكامل بأن الحق سيعود.. وأن الباطل سيزهق!! .. رغم القتل.. البطش..التهجير.. التوطين.. السرقة.. الاغتصاب.. الظلم.. بكل أنواعه! يبقى الأمل بأن الحق حق، وأن الباطل باطل. ولكن لم يكن انتظار تحقق الأمل المنشود.. بعودة العقل الى معقل حكمه.. والعدل الى ضبط ميزانه.. والحرية الصحيحة التي تضمن للانسان عدم امتهانه ..بكرامته.. ونفسه.. وماله!! حين كان مبتغى الطاغية.. أن يرضخ الجميع داخلا وخارجا الى أن الأمر واقع!.. لا فكاك منه!.. كان الجميع يأمل ويأمل بأن ساعات الظلم تتناقص! وفي الوقت نفسه تلك الساعات كانت تزداد وتزداد واقعا، لتغدو أياما وشهوراً.. حتى سئم المرء الأمل .. وطغى الملل.. على كافة الصامدين، ومن جميع الملل!!.. أغدٍ أم بعد غَد، يزهق الباطل ويعود الحق؟!!

حتى بدأ يوم السابع عشر من ينايرللعام ١٩٩١ حين ، أعلن قائد التحالف الدولي سعادة الرئيس السابق للولايات المتحدة الاميركية جورج بوش. بدء عملية تحرير دولة الكويت.. حينها فرح جميع من كان في الخارج بهذا النبأ.. الا أنهم لم يكونوا بأكثر فرحاً وسعادة ممن كانوا يموتون يومياً في الداخل!! فلتبدأ الحرب !! واما أن يعود الحق لأصحابه!؟ .. أو فلتزهق الأرواح دونه.. فالموت أرحم من هذا «اللامعقول» الذي عاشه الجميع في الداخل . وفي الخارج!!

دَوام الحال مِنَ المحالْ..!!
(٩)

ويستمر الحال من سيء الى أسوأ . من خطر الى أخطر. وعلى الرغم من مئات الجرائم يوميا.. منها السطو المسلح.. والسرقات.. والنهب اليومي لهذه الأرض الخيرة .. آلاف الأطنان من المواد الغذائية تسرق .. الآلاف من السيارات الفاخرة وغيرها تسرق.. الآلاف من المنازل والفلل الخاصة تسرق. ويبقى على الرغم من ذلك الألم.. ملاحظة جميلة مفادها «أن هذه الأرض ورغم ما تعرضت له من عمليات نهب وسلب منظم وغير منظم الا أن خيرها كان ولا يزال فيها ينعم منه المواطن والمقيم الشريف، «والخبيث ايضا..!!» يصبح مسلسل المعيشة اليومي مرعبا، لدرجة أن الفرد لم يكن ليشعر بالأمان لحظة !.. لم لا ؟، والمجني عليه الذي نصحته بالذهاب الى مخفر شرطة المنطقة لتقديم بلاغ بشأن سيارته التي سرقها عسكري، ولدى ذهابه والابلاغ عن الواقعة القي هو بالسجن، لأنه أتهم عسكريا عراقيا!! والعسكري العراقي معروف عنه أنه لا يسرق أحداً !!! لا عجب اذا !!!...

ذهبنا بعد القبض عليه الى المخفر وأخرجناه من السجن.. دون محاكمة.. وبدون كفالة ولكن بجهاز فيديو قديم تم بسببه شراء ذمة ضابط المخفر وأخرج المجني عليه من السجن!!.

تمضي الأيام كالسنين... والأشهر كالعقود... يُقتَل من يُقتَل.. يغادر من يغادر . يُسلَب من يُسلَب. يمرض من يمرض... والكل مصر على أن يوم الخلاص قادم لا محالة، خصوصا مع بداية السنةالجديدة ١٩٩١م .. حيث بان العزم على التحرير والخلاص واضح المعالم.. وأن الحرب آتية.. لا محالة !!

بدأت الحرب فعلا. وفرحنا فرحا كبيرا ونحن نسمع ونشاهد ما كنا لا نتصور أن نراه يوما ما في هذه البقعة من العالم. أصحاب حق انتزع

منهم حقهم انتزاعا. وتحالف دولي لم يسبق له مثيل.. ينصر أصحاب الحق هؤلاء.. وبانتظار الفرج!! . هل اليوم تنتهي الحرب التي بدأت بالأمس؟! أم انها ستطول الى ، الله أعلم!! وكيف سيكون حال الناس خلالها. لا كمامات واقية من الكيماوي المزدوج!! ولا سراديب كافية تحمي الأبرياء.. ولا مؤونة كافية لأيام ، غير معدودات!!.. اذن لا مناص من الانتظار والصبر. والدعاء لله سبحانه وتعالى بأن تكون العاقبة سليمة!!..

حتى جاء صباح يوم ١٩٩١/١/٢٣م وفي تمام الساعة السادسة والنصف ، وفي مكان كنا نختبئ فيه بمنطقة الشعب البحري.. في عمارة سكنية هجرها أهلها .. بسبب «اللامعقول» !! واستقرينا نحن فيها. مجموعة من الشباب نبلغ من العدد ستة رجال... ننتظر الفرج .. لنساعد قدر المستطاع في عملية التطهير من الداخل.. !! كل ما اعتقدنا أنه سيكفينا من الغذاء ما حاولنا توفيره... معلبات... خبز... بيض .. عدس .. سجاير. مياه.. وسلاح !!

يهجم قطيع من اللابشر يقدر عددهم بخمسة وعشرين رأسا.. مدججي السلاح .. مشغولين وبوقت واحد.. منهم من يحيط بالمكان .. ومنهم من يقتحمه .. لا مفر.. فنحن الآن بيد «اللابشر» الذين كان أول استقبالهم لنا في رحلة استمرت خمسة وأربعين يوما.. الضرب . البصق .. الاهانة.. السرقة.. التعذيب النفسي، فبينما كان البعض منهم يقوم بعملية الضرب والتكبيل. كان الآخرون مشغولين بسرقة المواد الغذائية.. السجاير . المكواة.. التلفزيون.. الفيديو.. الخ..

لقد بدأت رحلة داخل الرحلة... في غير معقول جديد!! انها رحلة مع العدو.. شخصيا!! كيف، لماذا، هل تنتهي؟.. الله أعلم!! إنه الأسر..

سـعودي.. بأيـد عراقيـة !!
(١٠)

قبل وقوعنا أسرى بايدي جلاوزة نظام اللامعقول سيء الذكر.كنا نردد وبمناسبة القبض على أحد الشباب واعترافه على زملائه في المقاومة.. كيف يشي زيد بعبيد؟!

أنهم اخوة.. وأصدقاء منذ سنوات؟!! هل يعقل أن يعترف زيد على اخيه عبيد بهذه السهولة ؟! والله عيب!! . ولكن بعدما شاهدناه بأم العين. ولمسناه بالجوارح والجسد . لا نقوى على اللوم، ولأسباب كثيرة. فلقد كان مقياسنا هو ما كان سائدا قبل الغزو العراقي الغاشم.. حيث كان المتهم ينال من الضرب ما يناله.. لأجل انتزاع اعتراف ما «مع التحفظ على هذا الاسلوب» ولكن لم تكن اساليب انتزاع الاعتراف تلك ، تصل لدرجة أن يتم كسر رأس زجاجة «البيبسي» ليجلس عليها المراد انتزاع الاعتراف منه.. مع ما يصاحب هذا العمل الشنيع من مضاعفات أليمة تولينا تضميدها أثناء الاعتقال.. أو التعليق من خلف اليد وبالمروحة، التي تعلو ثلاثة أمتار.. والضرب على الأرجل وبكل مكان بغية الاعتراف.. وهذه حصلت مع أحد الأخوة الخمسة الذين كانوا معنا لحظة الأسر.. أو اطفاء السجاير بالراس والجسد وهذا ما رأيناه بأم العين في سجن الأحداث ..او قذف الانسان من الأعلى الى الأسفل وهو مكبل اليدين ومعصوب العينين «حدثت معنا شخصياً».. ما أردنا أن نصل اليه من الأمثلة القليلة السابقة هو العذر كل العذر لمن لم يحتمل التعذيب غير الوارد في فكر بشر.. وغير المحتمل حتى من الحيوان.. وعلى أثره أبلغ أو اعترف على زميل أو أخ له !!..

في اليوم الأول من الرحلة الجديدة أتاني أحد ضباط «اللابشر» .

وقال بالحرف الواحد:- انت سعودي ؟! ولا... فوق هذا اسمك فهد بعد.. !! وللجميع أن يتخيل سوء المعاملة أنذاك بسبب المواقف المشرفة لجلالة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود-حفظه الله - من الغزو الهمجي على الوديعة الكويت، وعمله الدؤوب الذي ادى في النهاية الى التحرير.. ووجهت لي أول تهمة :- أنت الطيار السعودي الذي أسقطت طائرته في البحر. فأين المجندة الأمريكية التي بصحبتك ؟! كيف أرد على هذا الهراء؟!! فبلحظة..أصبحت طيارا !! أنكرت بالطبع. وطلب الضابط احالتنا الى المقر الرئيسي للاعتراف حيث كنافي مخفر منطقة ميدان حولي وطلب احالتنابعد اعتراف احد الاخوة بما نسب اليه من الواشين، الى مقر التعذيب الرئيسي ...انه قصر العدل!!

قصـــر التعذيـــب..!!
(١١)

يخرج موكب عسكري مخيف.. تتوسطه سيارة مسروقة طبعا.. تقلنا .. معصوبي الأعين.. الى وجهة لا نعلمها!! ندخل مبنى كبيراً حيث سار الموكب من بوابة هذا المكان الى مسافة ١٠٠ متر تقريبا.ننزل في سرداب كبير.. وأصوات الأحذية العسكرية تَرِنُّ صدىً.. بعد ذلك سمح لنا قائدهم بالرؤية.. لأفاجأ بأننا في سرداب قصر العدل!!

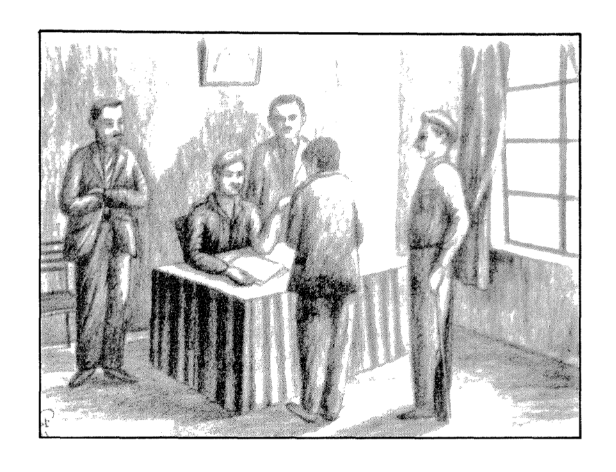
قصر اعتاد الناس أن يلجأوا اليه طالبين الانصاف.. مبتغين الحق..العدل.. المساواة.. في دولة القانون !!! ..تحوّل على ايدى الغزاة الى مقر اعتقال وتعذيب ..!!!وضعنا بعدهافي زنزانات.. كتب على جدار الزنزانة التي وضعت بهاعبارات كانت قد كتبت قبل الاجتياح .. السجن للرجال!!..ذكرى فلان بتاريخ كذا وبتهمة الشروع في القتل..فلان متهم بالمواقعة.. أبيات شعرية !! أمعقول أني متواجد في هذا المكان؟! أي زمان هذا الذي لا يستطيع فيه من درس الحقوق وآمن بها وعاهد الله ونفسه – على الدفاع عنها.. أن يدافع عن نفسه !! أين الحق؟! أين العدل؟! أين القانون؟!!

علمنا من الإخوة المعتقلين آنذاك وشاهدنا لليلة واحدة فقط،أنه في تمام الساعة الثانية من فجر كل ليلة..يبدأ مسلسل التعذيب اليومي للشباب الكويتي..وغيرهم، عندما يكون السكون قد خيم على المكان .. وتبدأ صرخات المعذبين تعلو شيئا فشيئا..واللامعقول هنا أنه لدى انتزاع اعتراف ما من معذَّب ما..وفي نفس الوقت الذي يئن فيه المعذب ألماً!. يزغرد «اللابشر»..فرحا بهذا النصر!!.. الذي حققوه بعد أن أوسعوا الأسير ضربا وتعذيبا وتنكيلا..!! لا معنى للألم عندهم أو العاطفة أو الرحمة !!!..

في هذه الأثناء من الليلة الأولى .. استطعنا أن نتفق على ترتيب أقوالنا بحيث نخرج أنا وأخي من هذا المكان كون وضعنا الأسهل،حيث لم يعثر على سلاح معنا كما عثر عليه لدى البعض الآخر منا..وكوننا سعوديين.. قد لا تتأكد تهمة المقاومة ضدنا!!.. ومبتغانا من هذا كله هو الخروج من المعتقل والعمل على اخراج البقية عن طريق شراء ذمم الضباط والجنود ببعض المال..أو الأجهزة الكهربائية. أو غيرها.

ويأتي دورنا في السؤال والجواب. يفتح أحد الجنود قفل الزنزانة ويخرجني منها..«الضابط يريدك».. يجلسني أمام ذلك الضابط، والذي وجه لي بدوره السؤال الأول: ما علاقتك بهؤلاء المخربين؟! «يقصد أصحابي». فبادرته بالجواب مبتسما: أي مخربين!! لم الحظ، الا وبيدٍ غليظة ترتفع الى الأعلى ، ثم تنزل على وجهي بقوة !! لا تضحك!! لم أكن أضحك في موقف كهذا .. ولكن من صميم طبعي أن أبتسم وخصوصا في المواقف الصعبة!!! صفعة على الخد الأيمن تلحقها أخرى على الخد الأيسر.. ثم ضربة غدر قوية، من الخلف على أذني اليسرى.. قام بها أحد الجنود .. ليبدأ المسلسل الذي كنت أسمعه من بعيد والان أعيشه من قريب!!!.

أصـول التحقيـــق !!
(١٢)



استجواب أسير

أمـر الضـابط جنوده بتـعـصـيب عـيني.. وربْطِ يدي الى الخلف والصعود بي الى الطابق الأول من قصر «التعذيب» .. وكان ذلك ، حيث جرني جنود اللابشر كما تُجَر الخراف!! الرؤية معدومة.. والدرج كنت أحس به في ركبتي.. «هسه أخليك تعترف» يردد الضابط!!

عند وصولنا الى مقر التعذيب اياه.. بادرني ضابط اللابشر بسؤال واحد لم يوجه لي غيره: اعْتَرِفْ؟!!.. فأجبت : بماذا أعترف؟!.. فقال :كل شيء حـصل من ١٩٩٠/٨/٢ الى يومنا هذا «١٩٩١/١/٢٤م» ..!!! وبدأ سـتة من جنود اللابشـر بضـربي وبقـوة، في جـمـيع أنحـاء جسـمـي دون تمييـز بين مكان قـد يسـبب الضـرب فـيه عـاهة مـسـتديمة أو غـيرهـا من الاصـابات الخطيرة.. التـي يعاقب عليهـا في دولة القـانون بعقوبات تصل الى أكثـر من عـشـر سنوات من السـجن !! وأردد: لا أعـرف شـيـئـا.. لا أعرف شيئا.. وفجأة.. ومن هول قوة الضـرب تسقط قطعة القماش التي ربط الاشـرار عيني بها.. لأرى الجنود السـتة.. وبيد كل منهم قطعـة من كيبل أرضي خاص بتركيب أجهزة الهواتف وكل قطعة بها ثلاث رزمٍ من الأسلاك المعدنية!!!

يرتاح «اللابشـر» برهة.. ريثما تُمْنَع الرؤية عني .. بتعصـيب العين مرة أخرى !! وفـجـأة يضـربني أحدهم بقبضـة يده على مؤخرة رأسـي.. واذا بي أهوى من أعلى درج مـا الى أسفله!! يقوم بعدها أحدهم بسحبي الى الأعلى مرة أخرى وتعاد الحركة نفسها من أعلى الى أسفل. في هذه الاثناء كان القصف الجوي يسـاهم بدرجة فعالة في التخفيف من كثرة طرق وقوة ذلك التعذيب..حيث كل «اللابشر» المتواجدين آنذاك.. خائفون

من ذلك القصف الشديد الذي ابلى بلاء حسناً آنذاك..!!.. يصرخ قائدهم الأعلى عندما سمع صراخي..ملازم عادل. أنا كم مرة قلت لك. لا تضرب أحدا هنا؟!! قلت لك خذه الى الطابق العاشر «أي الثامن في أيامنا هذه» وأوسعه ضربا وتعذيبا. فإن اعترف أنزله... وان لم يعترف فأقتله[1] هناك!!!..

ويستمر التعذيب مرة أخرى حين صرخ بي أحدهم وأمرني بالركض!!!.. أحسست لِلحَظة بأن هناك أملاً!! بالاضافة الى أنه اكراه واقع على النفس واجب النفاذ، وبنفس انطلاق بطل العالم للجري مسافة ١٠٠ متر..انْطَلَقتْ !! ست.. سبع .. ثماني..خطوات.. واذا بي أصطدم برأسي بحائط مسلح..وبكل قوة حتى رأيت العصافير التي تظهر في الرسوم المتحركة فوق رأس من يصطدم بقوة بشيء صلب، تحوم فوق رأسي.. !!!

«خلاص خلاص جيبوه» يأمر الضابط جنوده بوقف الضرب!!.. وقّع هنا على أقوالك!! أي أقوال وأي محضر تحقيق هذا؟!! وقعت على ما أراد ..وزج بي في الزنزانة من جديد...

١- (قصر العدل الكويتي مؤلف من سردابين وثمانية طوابق)

والله العظيم.. نصف ساعة!!
(١٣)

من شدة الضرب. لم أستطع النوم في اليوم الأول.. فكل النواحي بجسمي ونفسي تؤلمني...صوت رشاش الكلاشنيكوف.. لم ينقطع ليلا ليس بسبب أن جنود «اللابشر» يطلقون النار على جنود قوات التحالف. فالحرب البرية لم تكن قد بدأت بعد، ولكن من شدة القصف وكثرة الجهل بين صفوف «اللابشر»!!...أخذوا يطلقون نيران رشاشاتهم على طائرات التحالف !! بالاضافة الى أن صوت المدافع المضادة والخاصة باسقاط الطائرات التي كانت تهز قصر «التعذيب» هزا.. لم تفلح باسقاط حمامة !!

يأتي أحد الجنود بالقرب من زنزانتي ويستعد لتحضير الشاي لأحد الضباط. فيقوم بحرق مستندات قضايا البشر التي كانت في قصر العدل .. ايام كان للعدل قصر ... يحرق ويحرق مستندات بملايين الدنانير.. كي يحضر شايا لسيده!!

وبعد التحقيق مع أفراد المجموعة ،يقرر الضابط خروجنا أنا وأخي من قصر «التعذيب».. ولكن الى أين؟! الله أعلم!!.. وقبل أن نركب مركبة عسكرية تقلنا خارج القصر، سألت الضابط: الى أين نحن سائرون؟! فأجاب :أنها نصف ساعة ويطلق سراحكم !! كل ما فى الامر هو أنكم ستذهبون الى مكان ما وتسجلون أسماءكم كمخبرين لصالح المخابرات العراقية ، ومن ثم يطلق سراحكم!! والله العظيم .. بعرضي .. ورأس بناتي.. وحياة أمي وأبي. بالنبي (ص) نصف ساعة وتكونون أحرارا!! حسنا..تنطلق المركبة العسكرية. باتجاه الجهراء.. الأفكار كثيرة .. أين هم ذاهبون بنا؟! أداخل الكويت أم خارجها؟!

أنه يتجه الى سجن الأحداث.. مجموعة أخرى من «اللابشر» تقف

أمام السجن وتنظرالى الأعلى، يركزون النظر على شيء ما ويتساءلون .. هل هي طائرة؟ !!. الهلع بين صفوفهم واضح جدا، لأنه كان مجرد طائر كبير..!!!

يستقبلنا ضابط جديد.. ويقول: لا يوجد مكان لحجز هؤلاء.ولا توجد أغطية كافية.. ولا توجد مؤونة كافية أيضا!!.... إذن المسألة ليست "نصف ساعة" كما قال الضابط في قصر «التعذيب» رغم القسم الغليظ الذي أقسمه بالله تعالى وألحقه بأهله وأعزائه !!لا عجب فليس لديهم عزيز..وليس لهم ايمان بالله !! أنها مجموعة آمنت بنظام جائر.. لا يعترف بأي قيم أو مبادئ أو رسالة سماوية....يؤمن بها كل العالم ..ما عدا هذا العالم!!!

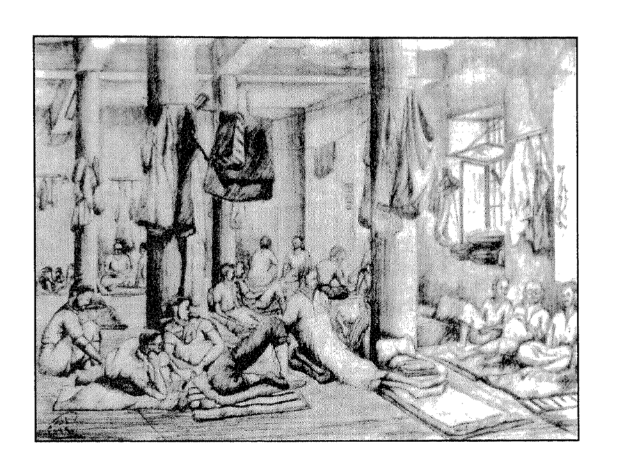
سجـن الأحـداث... آنـذاك ؟!!
(١٤)

من المتفق عليه عالميا أن سجون الأحداث .. يجب أن تتوافر فيها مستلزمات كثيرة،تليق والهدف من انشائها.. على اعتبار أن سجن الأحداث مؤسسة اصلاحية تهدف الى اصلاح وتهذيب سلوك الأحداث ممن جرفهم تيار الجريمة...ومحاولة العودة بهم الى المجتمع القانوني.. الذي تحترم فيه القوانين وتعي شرائحه الحق والواجب ... وفق القانون..أملا في مساهمتهم بنهضة أوطانهم..

أما أثناء الاجتياح وحال الزج بنا في إحدى زنزانات سجن الأحداث في الكويت. يوم ١٩٩١/١/٢٥م لم يكن فيها من مقومات الاصلاح شيء ،بل كان فيها خمسة وأربعون أسيراً تقريبا!!! وسجادة تحتل نصف مساحة الزنزانة الرئيسيه المستغلة التي تبلغ تقريبا ٧×١١ متراً !! والباقي كان عبارة عن خزانات ملابس تم تكسير ابوابها الخشبية لاعداد الشاي!!!..وعدد من الأغطية يبلغ اثنتي عشرة قطعة .. يجب أن يتغطى بها الخمسة والاربعون أسيراً!! منهم الكثير من الأصدقاء الذين كان من المفترض تنبيههم حال الافراج عنا!.. بخطورة الأوضاع !!. علهم لا يقعون بأيدي «جلاوزة اللابشر» .. نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض أسماء من رحمه الله منهم.. ومن كتب الله له الحياة.. من علمت حياته... ومن لحقه قدر الفقد في أرض ذاك النظام !!؟؟؟؟...

مبارك ..شاكر.. منصور... مساعد.. عبد العزيز.. أسامة.. علي.. عبد الرحمن.. أشرف..سامر.. خالد..فهد..ناصر.. ابراهيم.. خليل.. وليد.. أحمد.. وغيرهم...

بداية تجربة جديدة على النفس.. تجعل الفرق واضحاً . لدى المقارنة بين .. الحرية والقيد. .الخير والشر.. الكويت والعراق!!!



أسـباب.. القبـض.. على الأسـرى..!!
(١٥)

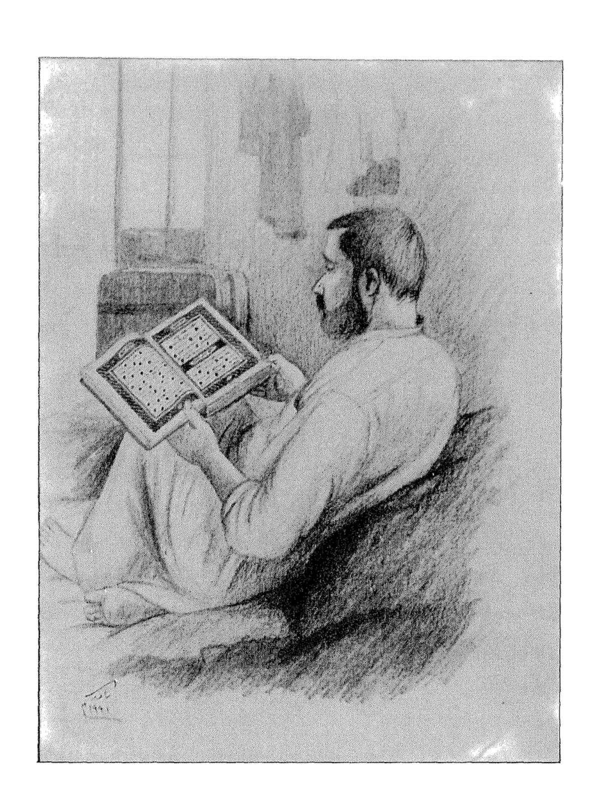
بعد دخول الزنزانة ومعانقة من نعرف منهم.ومصافحة من تعرفنا عليه.. آنذاك.. وجدنا المعنويات مرتفعة.. والأمل مزروعاً في نفوس الجميع ولكن.. الخوف كل الخوف من المجهول القادم ريثما يتم تحرير البلاد !! فالتعذيب الحقيقي كما عايشناه لم يكن بذاك التعذيب البدني ، فآثاره انتهت تقريبابعد أسبوع من اليوم الأول!!!.. ولكن التعذيب الحقيقي هو ذاك الذي يعتمد فيما يعتمد عليه من اهانة.. تحقير .. ذل.. هلع ... تهديد....وغيرها... يصعب تجاوز آثاره لمدة طويلة، وقد تجاوز البعض منهم هذا العذاب.. بالايمان المطلق بالحق سبحانه وتعالى . وبعدله..

وبعد أن استقر بنا الحال مع المجموعة الجديدة.. أخذنا يسأل بعضنا البعض عن التهم التي أدخلتهم هذا المكان.. فكانت اجابات عديدة، لأسباب كثيرة، تفنن الغزاة في جمع تركيبة غريبة من الأسرى!! فمنهم من قام بعمليات مقاومة موثقة ويبلغ عددهم ثلاثة عشرشاباً منهم اثنتان من الشابات.. !! «رحمهم الله جميعا في ما بعد!!!» .. ومنهم من قبض عليه كونه عسكريا كويتيا ولم يبلغ سلطات «اللابشر» بأمره، فتم القاؤه في المكان ذاته..ومنهم من كان وحيدا في منزل عائلته... وأراد جنود «اللابشر» سرقة المنزل، فزجوا بصاحبه في السجن دون أن يقوم بأي عمل اجرامي بِعُرْفِهِم!!! هوية مزورة.. مسدس في درج السيارة... والبعض الآخر كان عبارة عن مجموعة من الجنود العراقيين الذين لم يرتضوا ما يقوم به نظامهم.. فهربوا داخل الكويت من تلك الخدمة العسكرية.. وتم القاء القبض عليهم داخل الكويت أيضا من قبل «لا بشرهم»..!!.. وغيرها من الأسباب المتفاوتة الأهمية.. أعمار المعتقلين تبدأ

من سن الثانية عشرة للولد الصغير وتنتهي بالخامسة والخمسين تقريبا لرجل فاضل يدعى "حمود الدويله" !!..

كانت هناك رغم الآسى السائد روح متآلفة بين صفوف الكويتيين ...والوحدة الوطنية ملموسة بين صفوف الاسرى في جو تسوده الألفة والثقة المتبادلة بين الاسرى الكويتيين في الحديث دون الخوف من وصول ما يدور بين الاسرى الى الحراس والضباط العراقيين بينما كانت هذه الثقة بالجنود العراقيين الهاربين من «اللابشر» معدومة .فاللدغة كانت قوية جدا ، لدرجة أنها جعلت الجميع ينسى التفكير بأن يمد يده في الجحر ذاته مرة ثانية!!!.. ومما زاد من ذاك التآلف والتكاتف هو اضطرار كل أربعة معتقلين الى وقاية أنفسهم من البرد القارس باشتراكهم بغطاء واحد.. ولشح المواد الغذائية وأدوات الأكل والشرب.. كان كل ستة منهم يشتركون بتدخين سيجارة واحدة..ويشربون الشاي في بعض الأحيان من زجاجة واحدة.. !! ويأكلون من شبه طبق واحد!!

صلاة الجماعة كانت مظهرا مميزا وكذلك قراءة القرآن الكريم.. فعلا لم يكن المرء يكاد يحس بالفرق بينه والآخرين حيث الايثار.. وعطف الكبير على الصغير واحترام الصغير للكبير.. التعاون .. ومحاولة التوزيع العادل للأكل البسيط، الذي يكاد يكون معدوما في بعض الأيام!!!!



خُـــذوه.. فغلُّـــوه !!!

(١٦)

ابتداء من أواخر شهر يناير لعام ١٩٩١م كان العدو يسعى جاهداً الى جمع اكبر عدد ممكن من الشباب الكويتي بطريقة او باخرى ولاهداف غير معلنة حينها..!!

كانوا كل يوم تقريبا يجمعون المعتقلين من المخافر ويوزعونهم على المعتقلات الكبرى.. سجن الاحداث .. قصر العدل .. المشاتل.. صباح السالم.. الجهراء.. الجيوان وغيرها من المعتقلات الرئيسية.

في مطلع شهر فبراير ١٩٩١م دخل علينا احد الجنود، واذاع اسماء احد عشرشابا.. ودعاهم الى الاستعداد لمغادرة المكان..وكان من المعروف حينها ان من يدعى الى الخروج يكون قد دُعِيَ الى الشهادة !!.. عبد العزيز .. شاكر.. منصور..مساعد.. خالد.. اسامة.. علي ..عبد الرحمن.. وليد .. عبد العزيز. سامر.. اشرف: اتركوا امتعتكم.. وخذوا اغطيتكم فقط!!.. بعد ساعة من الان ستغادرون هذا المكان إلى غيره..!!

بدأت لحظات التوديع خلال المغادرة للشهادة.. لحظات مُعَبِّرَة، لم ولن تفلح الافلام والمسلسلات في وصفها كما وقعت .. يدخل اربعة مسلحين من جنود اللابشر لاستلام الشباب.. وأمام أعينهم وتحت سَمْعِهِمْ .. بدأ عناق الوداع.. ساعدكم الله على ماستقدمون عليه من مصير.. الله يرحمكم اينما كنتم. يخرج المعتقلون الواحد تلو الاخر.. بينما كان يقف في الخارج فتاتان تدعيان وفاء.. وسعاد.. كانتا محجوزتين في الزنزانة المجاورة لنا. غاب الشباب عنا وساد الهدوء اليوم كله. وبعد يومين من خروجهما جلب «اللابشر» اثنين من الشباب..أحدهما مهندس كمبيوتر..يهوى التصوير الفوتوغرافي ويحتل المركز الأول في

الخليج العربي في هذا الفن. كان قد خرج ليصور احداثا رآها في شوارع الكويت.لم يكن يتوقع ان يشاهدها في بلده ... عربة عسكرية.. دبابة.. خندق ..وعندما رغب بتصوير جندي عراقي. طلب من احدهم ان يصوره ..فأجاب ذلك الجندي: حسنا.. تفضل.. استعد .. صوره !! بعد ما فرغ الشاب من التصوير .. اقتاده صاحب الصورة الى المخفر ... تحقيق لمدة أربعة أيام،ومن ثم احالة الى سجن الاحداث. الذي وصله وهو في أشد حالات الاضطراب النفسي .. كان هذا الشاب كثير السؤال عن مصيرنا الاخير.. هل سنعدم ؟! هل سنعدم؟!!

وبسؤالنا لصديقه عن التهمة الموجهة لهذا الشاب أفاد:انه متهم بالتجسس لصالح أميركا واسرائيل ..!!!

رحلة.. في زمن اللامعقول..!!

٢/٨/١٩٩٠ الى ٨/٣/١٩٩١م

عندمــا أخذ العــدو.. يهَلــوس!
(١٧)

بما اننا كنا في داخل المعتقل. فلم يكن لنا ان نعرف ما كان يدور في خارجه. فالاخبار ممنوعة . السؤال ممنوع .. والمعلومات ضئيلة جدا كنا نتلقاها من القادمين الجدد!!!

ولكن حدث موقف في داخل أسوار السجن ومن قبل الجنود أنفسهم ، حين لوّح قائدهم «المؤمن» بتاريخ ١٩٩١/٢/١٧م بانه سينسحب من الكويت.. وقبل أن يكمل مشروع انسحابه، فرح جنود «اللابشر» فرحا كبيرابهذا الخبر، حيث انه وبعد ان تحدّوا العالم أجمع بأنهم لن ينسحبوا من الكويت وليفعل العالم ما يستطيع لاخراجهم. !! بمجرد أن سمعوا كلمة «الانسحاب» أمطروا السماء برصاص رشاشاتهم كمظهر من مظاهر الفرح التعبيرية حسب العادات العراقية ، مما أوقع في نفوس الأسرى الوهم بوجود انزال عسكري تحالفي يتصدى له الجنود الآن باطلاق النيران، حتى أتى أحدهم وصرّح بأن ما يسمع هو تعبير عن فرحهم بالانسحاب.. !!! أطلقوا رصاصا يكفي لتحرير مدينة بأكملها لسماعهم اشاعة انسحاب من قائدهم !!!

قمة التناقض والتخبط والهلوسة رأيناها بعد هذه الحادثة بأيام قليلة سابقة على تاريخ ١٩٩١/٢/٢١م حين استدل أهل اثنين من المعتقلين على مكان اعتقالهما. وسماح بالملابس . والاكل.. ورسالة !!! فتحت هذه الرسالة من قبل «اللابشر» وقد كانت موجهة من اخت لاخيها المعتقل!! اخي عبد الناصر.. ان شاء الله تكون بخير.. احنا بخير .. الله كريم .. اصبروا .. نلقاكم ان شاء الله بعد تحرير الكويت!!!!.. هذه الجملة تسببت في ضرب عبد الناصر.. وابن عمه عادل.. من قبل الجنود لدقائق تكسرت خلالها العصي على ظهور الشباب!! بسبب أمنية أخت في أن ترى أخاها بخير بعد التحرير.. ليس إلا!!!

أصبحت بوادر انسحاب العدو في تلك الايام ملموسة.. وكان

اللابشـر قـد زادوا في عـمليـات قـتل الشـبـاب وفقء اعـينهم وتشـويه اجسادهم والقائهم في النهاية امام بيوتهم تحت نظر الاهل والجيران!! .. مبـتغين زرع الذعر في صـفوف الشـبـاب.. حـتى يشلوا تحـركاتـهم التي كانت من الممكن ان تعرقل انسحابهم .. المرتقب!!

ويأتي يوم ١٩٩١/٢/٢١م وفي صـبـيحـة هذا اليوم.. أتى أحـدهـم وأخـذ ينادي: نجيب . . فـهـد.. أحـمـد .. جـاسم..ناصـر.. عـادل ..عـبـد الناصـر الخ.. اسـتـعـدوا للـمـغـادرة !!! أي اسـتـعـدوا كـمـا نفـهم انذاك.. للاعدام!!

بعـد سـاعـة من الآن، سـوف يتم ترحيلكم الى مكان آخـر !! وتعـود لحظات الوداع مرة أخرى!! والاستـغراق في التفكير.. بالمجهول القـادم!! هل سَنُرَّحل فعلا؟.. هل سَيُطلّق سراحنا كما كان قد أشيع آنذاك؟! هل سَنُقْتل؟.. بماذا يفكِّر المحكوم بالاعـدام. في تلك اللحظات؟!! وفـجـأة .. يُفْتَح باب الزنزانة ويُزَجُّ بأربعين شابا كويتيا نظيفا !! ثياب نظيفة. لحى حليقة .. !!.. نظرات الخوف واضحة لقد دخلوا المجهول.. ووقعوا بأيدي أناس لا يعرفون للرحمة معنى..!!

بادرنـا أحـدهـم بسـؤال: لماذا انتم هنا؟! أجـاب: لا ندري.. كنا في طريقنا الى المنزل.. واذا بهم ينزلون الكويتي من سـيـارته ويصـادرونـهـا ويلقون به في الباصـات الواقفة على جانبي الطريق!!.. القـادم من شـبـرة الخـضـار.. الخـارج من البقـالة .. المتّجة في طريقه الى مسـتشـفى الولادة لرؤية مـولوده الجـديد.، في الزمن الـغـريب!!! تعـددت الأسـبـاب والـهـدف واحد!!

جـــمـع كل الـرجـــال الـكـويـتـــيين ان أمكن وأخـــذهـم رهـائن أثنـاء الانسـحـاب!!!

وكانت تلك ليلة ، لم ولن تنسى ما دام العقل!!

العشاء الأخير..!!
(١٨)

بما اننا كنا.. قد اعتدنا على التغلب على شعور الخوف.. بسبب تواجدنا لاكثر من شهر بيد الطغاة!.. لذا فقد اعتدنا على أسلوبهم !! .. وبما أننا لم نكن نشرب الماء لمدة أيام.. لذا فقد اعتدنا على العطش !!.. وبما أننا لم نكن نأكل لأيام!. لذا فقد اعتدنا على الجوع!!.. ولكن القادمين الجدد الذين كان يزج بهم بالعشرات في سجن الأحداث .. بالطوابير الطويلة.. وعلى مدار الساعة !! حتى أكتظ سجن الأحداث تلك الليلة بما يقارب الثلاثة آلاف وخمسمائة معتقل!! زج في زنزانتنا ليلتها ما يقارب الثلاث مائة وخمسين منهم !!! لا أغطية.. لا طعام.. لا شراب!! كان هَمُّنا يومها هو زرع الأمل في النفوس .. وتهدئة الأعصاب!! والدعاء الى الله بقرب الخلاص.. اتفقنا نحن «قدامى الأسرى» على رعاية المرضى والمسنين ممن تواجدوا في ذلك اليوم.. وكان من حسن الحظ أن زُجَّ بطبيب في نفس الزنزانة.. فكنا نستشيره في بعض الأمور.. وفي الساعة السادسة مساء، جلب العدو مجموعة جديدة .. كان من ضمنها رجل مسن لم يحتمل الموقف فَخَرَّ أمام باب الزنزانة!! وطلبنا من جنود «اللابشر» السماح للطبيب المتواجد بالخروج لمعالجة هذا الرجل المسكين.. فرفضوا الطلب!! وظل ملقى على الأرض مدة نصف ساعة.. بعد ذلك حمله الجنود الى مكان لا نعلمه.. هل مات؟. أم هل لا زال حيا؟!! «الله أعلم»..

وفي تمام السابعة من مساء اليوم ذاته.. حضر أحد ضباطهم وقال للجميع : من يريد أن يتناول طعام العشاء يجب عليه أن يدفع خمسة دنانير عراقية!!! .. بلحظات تاريخية، يدفع من كان معه نقود حينها عن

نفسه.. وغيره في منظر درامي.. حتى جمع الطغاة ما يقارب الألف وخمسمائة دينارعراقي من زنزانتنا!! يا هل ترى ماذا سيكون العشاء؟!!

وريثما يتم التجهيز للعشاء المنتظر.. أخذنا بتفقد حال الجدد... واتفقنا على أن الشباب المنهك الذي يريد النوم،له الحق بالتمتع بتدفئة الغطاء مدة ساعتين فقط! .ومن ثم ينزع عنه ليستفيد منه شاب آخر مدة ساعتين أخريين !!! أما المسنون والمرضى فلا تنطبق عليهم هذه القاعدة!!!

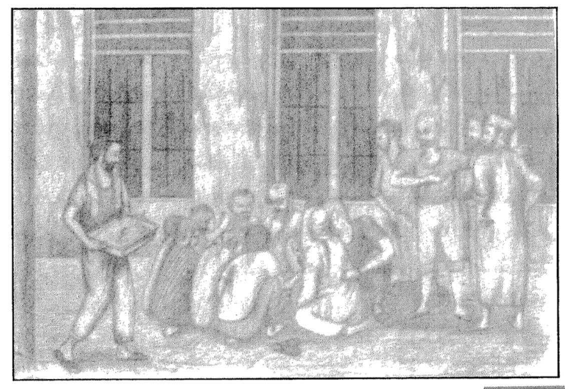
وفي هذه الأثناء أيضا، كنا نستفسر عن مصير الشباب الذين نُودي عليهم أوائل فبراير والذين قال الطغاة بأنهم سوف يغيّرون مكان اعتقالهم.. فهم من مناطق عديدة في الكويت،هل سمعتم بعبد العزيز الشرهان؟!.. يجيب أحدهم: رحمه الله.. لقد قتله «اللابشر» بعد تعذيبه وتشويه جثته.. أمام بيته !! شاكر ومنصور ومساعد إخوة.. ألم تسمعوا عنهم شيئا؟! فيجيب صديقنا العزيز "طلال زيد الطواري" الذي كان ضمن المجموعة الجديدة: لقد شوّه الجُناة أجسادهم، ومزقوها «بالدريل»(١) وكسرت عظامهم «بالطبر»(٢) وأطلق أخيرا عليهم الرصاص أمام منزلهم!!!! وهكذا حتى علمنا من باقي المجموعة،مصير تسعة شبان كويتيين وشابين فلسطينيين وفتاتين كويتيتين.. وفاء العامر .. وسعاد الحسن..قتلوا وتم التمثيل بجثثهم أبشع تمثيل ... رحمهم الله جميعا رحمة واسعة..

---

(١) الدريل : آلة حديدة خصصت اساساً لثقب الحوائط المسلحّة!!

(٢) الطَبْر : سكين كبيرة وحادة خصصت اساساً لتكسير عظام الخراف والابقار وغيرها من الحيوانات التي ياكلها الإنسان!!

الساعة تشير الى العاشرة مساء.. موعد العشاء .. يدخل الجنود الزنزانة، ومعهم أطباق مستديرة .. يُطْلَبُ منا توزيع العشاء. هل هذا هوالعشاء فقط ؟سألنا أحدهم فأجاب: نعم. «مو عاجبك» !!. الحمد لله على أي حال ..سلة من البيض!!! كان العشاء عبارة عن ، بيضة واحدة مغلية بالماء.. اشترط الجناة أن يشترك كل اثنين بأكل هذه البيضة الواحدة فقط!!!... هل يأكل الفرد البيضة كاملة؟ أم يلتزم بالنصف؟ أم يتركها لمن هو محتاج جدا لِلُقْمَةٍ تُعينَهُ على البَقاء؟!!.. الاحتمالات الثلاثة وقعت..!!!



فجرُ يومِ المغَادَرة..!!
(١٩)

بعد انتهاء «وليمة العشاء» بعد ما يقارب العشر ثوان من بدايتها!! أخذ أحد «اللابشر» يطلبُ وبصوتٍ عالٍ من الجميع، أن يخلدوا الى النوم!! الساعة العاشرة والنصف تقريبا.. والطقس بارد جدا. .انخفضت درجة الحرارة قليلا جدا بسبب وجود هذا الحشد من البشر .. بعضهم فوق بعض .. ويتنفسون القهر.. في آن واحد!!، مما ساعد على انخفاض درجة الحرارة!!..مجموعة منهم خلدت الى النوم بسبب الاعياء..!! ومجموعة أخرى.. سارحة.. في القادم الجديد!! ماذا سيحل بهم بعد ، أكثر مما حل؟!! تساؤل يكاد المرء يقرأه على وجه كل منهم!! بعض السابقين والحديثين من الأسرى أخذوا يتبادلون الأحاديث مع بعضهم عما يدور في خارج المعتقل.. وداخله أيضا !!.. حتى لاح الفجر في الأفق .. حمدنا الله على أنهم لم ينفذوا أمر ترحيلنا السابق اصداره على قرار صدام حسين زعيم «اللابشر» . بجمع البشر من كل مكان!!! ثم خلدنا الى النوم نصف ساعة.. واذا بأحد جنود «اللابشر» وفي تمام الساعة الرابعة والنصف فجرا يقف على باب الزنزانة.. ويصيح: عبد الناصر.. عادل . فهد .. أحمد. جاسم ... وأخذ يكرر ويدعوالأسماء المطلوب ترحيلها الى الرحيل ، فقد حان موعده!!!

يوقظ كل منا الآخر.. قم فقد حان موعد الرحيل!! .. في الخارج طابور طويل نقف فيه الواحد تلو الآخر بعدما ودّعنا إخواننا الجدد، في الداخل الذين تمنوا لناالسلامة مصحوبة بحفظ الله ورعايته..

الى خارج سجن الأحداث نسير. في الموقف الخارجي للسجن.. يقف العديد العديد ،من المركبات المسلوبة من المعتقلين الجدد.. يختار

الضباط أربع سيارات مدنية من طراز شيفروليه... وسيارة مرسيدس من نوع «٥٠٠ أس اي أل» زرقاء اللون.. بالاضافة الى باص تابع للخطوط الجوية الكويتية !! فلان وفلان في هذه السيارة.. وفلان في تلك ..والمجموعة المكونة من فلان وفلان وفلان. في الباص!!! وكنت وأخي من ضمن مجموعة الباص. وينطلق الموكب فجر يوم ١٩٩١/٢/٢٢م في اتجاه الحدود الشمالية للكويت..

عندما وصل الموكب بنا الى بداية طريق الجهراء.. كان الجو كئيبا.. فهوموعد نهاية الظلام!! الى بداية النهار!!! ولكن العكس كان شعورنا!! فالسكون يخيّم على الموكب والكل يتساءل.. الى أين نحن سائرون؟! . والكل مؤمن ايضاً بأنه الى أرض الظلام يسير.. لا محالة!!

وفي لحظةٍ دراميةٍ مبكية. أخذ صديقي في الأسر وبعده «عادل السداني» وأثناء ما كان يلتفت الى الخارج، أخذ يردد بلكنة مليئة بدموع القهر المكبوت داخل النفس، أخذ يردد: والله انه القهر أن يتم ابعادنا عن بلادنا رغما عنا، والتي لم نخرج منها بارادتنا وها قد أتى اليوم الذي نخرج منها رغما عنا!!..

وصل الموكب بنا الى نهاية طريق الجهراء وبداية طريق المطلاع، من هناك بدأت المأساة التي عشناها واستمرت أسبوعين!! داخل عقر اللامعقول!! وفي موطن "اللابشر"!!

مرحلة جديدة..!!
(٢٠)

يتوقف الموكب قليلا على طريق المطلاع – العبدلي .. ثم يتحرك بعد ما تقدم موكبنا موكب آخر يضم كبار «اللابشر» "الاستخبارات، والأمن" !! لقد كان أول الفارين هم من تلوثت أياديهم العفنة ، بالدماء الطاهرة الزكية التي دفعها شهداء وجرحى الاحتلال.. يتقدمهم المنفِّذ الأول لجرائم العصر الحديث "علي حسن المجيد"!!!.

في منتصف الطريق أخذ الموكب يسير في خطٍ متعرج !!! انه القصف الجوي الناجح على مواقع قوات العدو ، من قبل قوات التحالف الدولي.. مركبة عسكرية محترقة على اليمين.. جثة لا تزال تشتعل من القصف ورائحتها العفنة تزيد من تلوث الهواء الملوث أساسا!! الآبار النفطية الكويتية كانت قد أُشعلت فيها الحرائق ، في بقع كثيرة وكبيره من الأرض الكويتية.. أنها «سفوان» المنطقةالحدودية الأخيرة التي تفصل الحدود الكويتية –العراقية !!!.

شوارع مقصوفة. وجسور مهدمة(١).. وحرائق متفرقة على اليمين والشمال!! يتوقف الموكب مرة أخرى !. أي طريق يسلكون؟ هذا ما كان يتشاور عليه ضباطهم!.. اتفقوا على طريق ما،وبدأوا السير فيه.. سأل أحد الأسرى أحد الحراس المتواجدين معنا في الباص: أين سنذهب؟ فأجاب: الى السماوة «محافظة المثنى»!!!..

الطريق عادة –حسبما سمعنا منهم – الى السماوة من الكويت تستغرق أربع ساعات.. بينما وصلنا الى تلك المنطقة بعد أحدى عشرة ساعة تقريبا، بعد أن مررنا وبصعوبة بالغة من، مناطق عديدة ملتهبة

(١) «اغلاق طرق الامداد لقوات صدام»

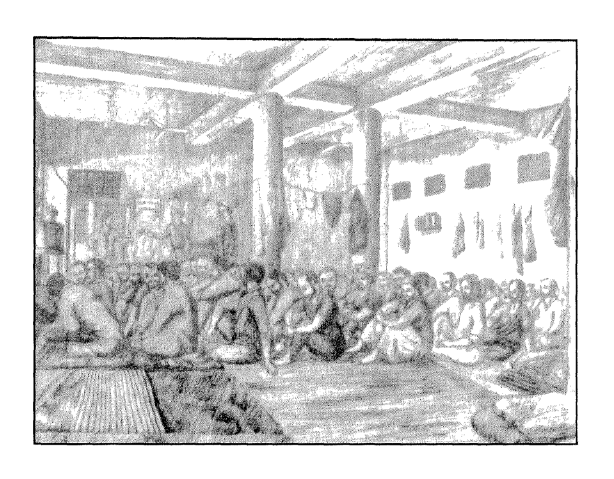
كالزبير.. البصرة .. الناصرية وغيرها.. شاهدنا خلال المرور من هذا الطريق مظاهر قهر العدو... مظاهر قهر الظالم... سبحان الله.. نكادُ نجزم بأن الموكب لو كان قد تحرك بنا قبل ثلاث دقائق تقريبا!! لكنا واجهنا المصير ذاته!! الحرق..وفي نفس الوقت لو كان قد تأخر بنا الى يوم واحد!! لكنا!! والله أعلم أيضا ضمن من احترق بين منطقتي المطلاع والعبدلي!!!...

أحد الحراس يقول : لقد وصلنا أخيراً الى السماوة!! هيا انزلوا : مبنى كبير. وقديم ..عُلِّقَ على سطحه علم، يشير الى أنه مستشفى!!! ولدى دخولنا فيه...اتضح لنا أنه مبنى الأمن الملحق بصدام حسين..هدمه الله !!! وأثناء سيرنا الى حيث لا نعلم، سأل أحدالأسرى أحد جنودهم : ماذا سيحل بنا؟!! فأجاب الجندي: والله العظيم !. ورأس بنتي!. وعرض أمي!. وسترة أخواتي! .«كلها يومين وتروحون لأهلكم»!!

يسمع منك الله.. مع مطلق ايماننا بعدم مصداقية قَسَمَ أي منهم على الاطلاق!!! حيث لم نكن قد نسينا ولن ننسى قسم النصف ساعة السابق!!!!(١)

---

(١) انظر الحلقه رقم ١٣



التعداد اليومي

التعداد ثلاث مرات يوميا للتاكد من عدم هروب اي أسير.

عَبَرْتَ الشَّطْ..!!
(٢١)

في مبنى الأمن العام «الصحي» !؟ تم الزج بنا جميعا ويقدر عددنا آنذاك بـ أربعين رجلاً وامرأتين!!! الرجال بزنزانة كبيرة جدا!!! والنساء بأخرى !! في زنزانتناوعلى جدرانها كتب المئات من المعتقلين الكويتيين الذين تم حبسهم في هذا المعتقل يوما أو أياما من أشهر الاحتلال!!!» يكاد شكل الجدار وهو مليء بأسماء الاسرى الكويتيين ، يكاد يشكّل لوحة اعلانية عالمية ، لصالح قضية الأسرى ، وخصوصا ادعاءات النظام العراقى بعدم وجودهم لدى قواته في مكان ما من .. اللامعقول!!..

«في الثالثة تقريبا من ظهر ذلك اليوم ١٩٩١/٢/٢٣ دخل جنود جدد من أصناف «اللابشر» وجلبوا معهم اللبن.. والرطب كغذاء لنا جميعا!! والأمانة تقتضي ، الاشادة باللبن فهو لذيذ المذاق.. بينما تقتضي الأمانة أيضا الاشارة الى أن "التمر" المصروف لنا، يستعمله العراقيون عادة كعلف للحيوانات، أبقار.. أغنام.. ماعز!! ورغم علمنا بعدم آدميته في "زمن المعقول "الا أننا لم نكن نملك خيارا أخر في زمن اللامعقول ، فإما الديدان التي بداخلها!! أو الجوع والموت جوعا!! الحمد لله على أي حال .. بعدما فرغنا من تناول طعام الغذاء!. نام من نام .. وجلس من جلس.. ضمن مجموعة تتحدث في الواقع الجديد!.. واحتمالاته!!

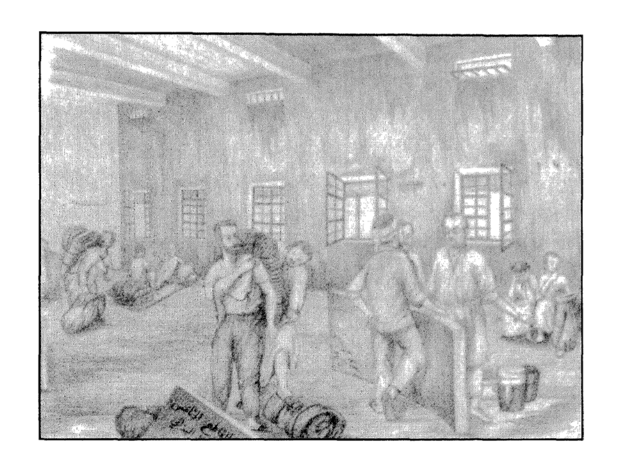
كنا قد سمعنا من أحدهم بأنهم سيجرُون لنا محاكمات «قانونية» يعاقب فيها المسيء!! ويطلق سراح البريء!.. هنا دولة القانون!!! الاحتمالات الواردة تنتهي كلهابالموت!. لأننا لم نكن نتصور احتمال المحاكمة العراقية لنا!! واطلاق سراحنا!!.. فكرة.. تتلوها الفكرة.. وحتى الصباح.. وفي تمام الثامنة والنصف من صباح يوم ١٩٩١/٢/٢٤ فتح أحدهم الزنزانة وتلاه في الدخول ثلاثة آخرون جدد.. بعد العد اليومي لرؤوسنا!! صاح أحدهم :سوف تخرجون من هنا جماعات،عدد كل منها ثمانية!! وستنقلون الى مكان آخر !! .. «شالسالفه!!.» حسنا، والى

الشبابيك إلتَفَتَت الأنظار!. ماذا يحدث؟!! في الخارج، كانت تقف عربة مدرعة، ينتصب فوقها ثلاثة من «اللابشر» أحدهم يجلس في المقدمة، وأمامه تم تثبيت مدفع رشاش عيار «٥٠» !! وتلي هذه العربة مركبة نقل من نوع «سوبربان» كبير، مسروقة طبعا!! وخلفه عربة مدرعة أيضا كالأولى !!. «يا الله سترك؟؟؟»..

شكّلنا تلك المجموعات الخمس .. كل أخ مع أخيه!! كل صديق مع صديقه وابن جيرانه!! وهكذا .. حتى خرجت المجموعة الأولى بعد وداعها من قبل الأربع الباقين!! وتسرح العقول التي تعيش واقعا مثيراً.. في ماهية المكان الجديدْ ، فبعد قصر التعذيب!!.. الى سجن الأحداثْ !! الى سجن مبنى الأمن الملحق بصدام حسين!! فالى أين إذن ..هذه المرة ؟!! الى أن جاء دورمجموعتنا الرابعة في الذهاب الى حيث لا يعلم الا الله !؟؟ يخرج الموكب من مبنى الأمن العام!!.. الى جهة لا نعلم وجهتها لجهلنا بجغرافية البلد !!! يمين .. شمال.. فوضى القيادة سائدة في المنطقة !! . حتى وصلنا الى ضفة نهر !!. أمامنا.. في الضفة الأخرى، تواجهنا غابة كثيفة مشكلة من أشجار النخيل !! وقوات «لا بشرية» تقف على يابسة ضفتي ذلك النهر!! تقف السيارة التي تقلنا.. ونترجل منها باتجاه المركب«البَلَمْ» .. وسيلة نقلناالى الضفة الأخرى!!! وبين الماء والسماء كدنا أن نغرق [1] ثلاث مرات !! حيث التيار شديد ... والسائق يعتقد بأنه بطل العالم في عبور الأنهار محملاً بثمانية أرواحٍ واثنين من جنودهم!! الى أن وصلنا الضفة الاخرى كان نصف الروح قد زهق !!. لتقلنا عربة أخرى بحراسة مماثلة لآخر موقف!! ومن بين تلك الأشجار الكثيفة يظهر مبنى كبير قديم، له بوابة كبيرة.. كتب على لافتة واضحة، في رأس تلك البوابة.. «سجن الخنّاق!!» أهلا.. وسهلا..!!

---

(١) تسمية عراقية شعبية.



سجن.. «الخنّاق»..!!
(٢٢)

هذا المكان.. البعيد جدا عن هذا الزمان!. عبارة عن بيت عربي قديم وكبيرا!.بعد دخول بوابته الكبرى ، تجد مظلة كبيرة تغطي مساحة أرضية ليست بالهينة، تملؤها السيارات الكويتية المسروقة،والتي كان عددهايقدر بمائة سيارة.. وعلى جوانب هذه المظلة، هناك مجموعة من الغرف وأماكن الحبس الانفرادي!!.. تنتهي هذه المساحة، ببوابة أخرى تطل على مساحة كبيرة أخرى من السجن!! .. عبارة عن باحة فسيحة وعريضة.. تحدها من جوانب ثلاث، اثنتا عشرة زنزانه تقريبا.. كل منها مكدس بها ما يقارب الخمسين معتقلا، تسع منها تتبع جهاز شرطتهم وواحدة مخصصة للنساء واثنتان تتبعان جهاز الأمن الملحق بصدام!!.. وضعنا في احدى الأخريين، وكان في الثانية مجموعة كبيرة من الأسرى الكويتيين الذين كانوا قد زُج بهم في المكان ذاته قبل وصولنا بشهر تقريبا!!!

في منتصف ساحة السجن، سارية العلم.. ويبعد عنها بمسافة عشرة أمتار تقريبا المطبخ المركزي البدائي المكشوف والذي يعتمد الطاهي فيه أساسا في اعداد الوجبات !!، على الأخشاب المقطعة من الأشجار..

وعندما دخلنا الزنزانة الجديدة، والتي كانت مساحتها الاجمالية ٥×٧ أمتار تقريبا..حشرنا الطغاة فيها عندما كان عددنا يقارب الأربعين رجلاً.. وبعدما فرغت من ترتيب اغراضي .. تَمَنّيت الراحة ... وأسندت ظهري الى جدار الزنزانة بحيث كنت قريبا من القضبان أرى ما لم أره في حياتي من قبل سوى بالأفلام !! في تلك اللحظه سرح العقل والفكرْ وتخيلت أنّي أمام لوحة طبيعيه من القرن الرابع عشر أوالخامس عشر ..!! فكل شيء بدائي .. في ذات الزمن الذي أصبحنا فيه نستطيع أن

نطهو دجاجة "بالميكروويف" خلال دقيقة واحدة !. .أرى نفسي متواجدا في داخل «لا معقول» يفصل بيننا في المملكة العربية السعودية والكويت وبينه، حدود دولية ،وعلى أرض لازال أهلها يستعملون الأخشاب في عملية الطهي!!!..

هناك فرق كبير جدا بين أنظمة الحكم فى الدول التي تستخدم ثرواتها الطبيعية لرخاء واستقرار شعوبها.. وبين تلك التي تستخدم تلك الثروات لعمليات التسليح والحروب والدمار!. هل هذه هي العراق الأغنى من الكويت بثرواتها النفطية والزراعية والصناعية؟!! أين ذهبت أموالها؟.. ماذا عملت الثروة فيما يتعلق برقي شعبها؟! وبين تساؤل وآخر .. يأتي أحد حراس السجن. رجل طاعن في السن «جيش شعبي».. ويصيح.، فليسمع الكل: الحارس : ان الذهاب الى الحمامات من حقكم ولكن لمرة واحدة في اليوم ،على أن تكون نهارا فقط !!! أحدنا: واذا حدث عارض في الليل.. استدعى الخروج !!! فيجيب الحارس بصوت عال:لن يخرج أحد منكم ليلا حتى لواضطر الى أن يتبول أو «....» على نفسه!!! ، وفوق هذا ، لكل واحد منكم نصف ابريق مملوء بالماء.. منه يغتسل ويتوضأ للصلاةو.... و.. !!! أما بالنسبة للأكل ،فستأكلون التمور طيلة فترة تواجدكم هنا «تمر أبو الديدان» !! وان كان هناك مجال لتوزيع الخبز سيكون لكل منكم قرص واحد.. !!! .. ممنوع أن يحاول أحدكم اشعال النار لحظة !! ممنوع الحديث ليلا!! ممنوع الحديث مع من في الزنزانة الملاصقة!!(1).. ممنوع.. ممنوع....

مرت الليلة الأولى بالأحاديث الجانبية للبعض... وقراءة القرآن الكريم من قبل بعض آخر.. والصلاة المستمرة بين صفوف الأسرى بمختلف جنسياتهم.. الكويتي.. السعودي.. العراقي!!

(1) بسبب الهلع والخوف من القصف الجوي

وفي تمام الساعة الواحدة من فجر يوم ١٩٩١/٢/٢٥م سمعنا صوت امرأة تشدو بمواويل عراقية.. تعبر فيها بصوت عال.. عن ظلم لحقها أودعها في النهاية فى غياهب سجن «الخناق» هي وابنها الذي يبلغ من العمر سبع سنوات..!!..آه يا الظُلُمْ... وَرَمَيْتِني... ويا اللّه .. ما هى الا لحظات، حتى خرج أحد «اللابشر» واتجه نحوها حاملا بيده صخرة كبيرة.. هددها بها إنْ هي لمْ تكَف عن الغناء والبكاء، فلسوف يضربّنها براسها بهذه الصخرة !!! في هذا المكان كل شيء جائز.. ومعقول!!! «ويسويّها!!»



يوم ٢٥ فبراير ١٩٩١ .. هناك!!
(٢٣)

مـرت السـاعـات الأخـيرة من يوم ١٩٩١/٢/٢٤م صـعـبـة، على الجـمـيـع، فـالأسـى سـائد ، والأمل بدأ يضـعـف لدى البـعض ويقـوى لدى البعض الآخـر في نفس الوقت..! حـتى صـبـاح يوم ١٩٩١/٢/٢٥م وفي تمام الثامنة والنصف ، قدم أحد «اللابشر» وفتح باب الزنزانة ثم قال: من يريد الذهاب الى دورات المياه، فليستعد، وستخرجون واحدا تلو الآخر..!! وأمام كل واحد منكم دقيقة واحدة لقضاء حاجته، ومن لا يلتزم فـسـوف يُحْرَم من الذهاب مـرة أخـرى..!!.. لا أودالحـديث عن هذا «المشـوار» بسـببٍ من الذوق العـام ولكن يكفي أن أورد أن بدايتـه تبـدأ بإهـانة لدى الخـروج من الزنزانة وتنتـهي بأخـرى في طريق العـودة إليها!!..

تَحركُاتٍ غريبة تجري في هذا اليوم!! فجميع الجنود تتجه آذانهم الى أجـهزة المذياع التي بحـوزتهم.! الهـدوء يسـود المعـتقل.. ولحظات الغروب كانت قد بدأت!! وعندما حل الظلام ....، دخل الى باحة السجن عدد من ضـباط «اللابشر».. وبعد اجتمـاع مطوّل مع قادة المعتقل.. بدأ جميعهم جولة على جميع أنحاء السجن.. وكان دورنا!!.. يفتح أحدهم قفل الزنزانة.. ويدخل الجميع... ويصيح أعلاهُم رتبة: بكل هدوء.. نريد أن نجري عمليـة تفتيش دقيقة لكل شيء هنا.. أمتعتكم .. أغطيتكم .. أشخاصكم!!! وبدأت العملية بالبحث عن أجهزة المذياع الموجودة بحوزة الأسرى، وبما أننا جميعا لم يكن لدينا جهاز واحد،نستمع من خلاله الى مـا يحـدث في العـالم الخـارجي!! لذلك لم تطل عـمليـة البـحث وخـرج

الجميع..!!

وفي منتصف الليل حضر عدد من الضباط الى السجن ومعهم مجموعة من أفراد «اللابشر» الذين سيمكثون في السجن ذاته كتعزيز عسكري للمعتقل!!!

يا بو سعد؟! أحد الزملاء في الأسر ينادي حارس الزنزانة: يجيب أبو سعد: نعم.. الأسير : ماذا يحدث يا بو سعد في الخارج؟! يجيب أبو سعد: لا شيء مهم،ولكن هناك بعض الاحتياطات الأمنية التي من الواجب اتخاذها.. وعموما بالنسبة للحرب، فهنالك اتفاق لوقف اطلاق النار، ومفاوضات تجري في الخارج بين الأطراف المعنية بالحرب والمسألة أصبحت أياماً معدودة ويذهب كل منكم الى أهله!!!

تغيّرت اللهجة ..وبدأت الليونة..!!!.... يا الله سترك؟؟..

أيام هادئة .. إلا مِن بَعْض .....!
(٢٤)

مـرت الأيام .. من السـادس والعشـرين من فـبـراير لعـام ألف وتسعمـائة وواحد وتسعـين ميلادية وحتى الثالث من مـارس للعام ذاته..، مرت غريبة، كئيبة ، هادئة، سبق سرد ترتيبها في حلقات سابقة!. ولكن حدث خلالها..بعض المواقف الطريفة!...والغريبة!! وغير المعقولة!!!

فما كان طريفا يوم ١٩٩١/٢/٢٦م هو اصابة أحد الأسرى بألم في بطنه غريب وشديد، إلتفَّ حوله بالطبع كثيرمن الأخوة الزمـلاء، آملين في ايجاد حل لهذا الألم.. الساعة هي الثامنة مساء تقريبا، والضـابط غير متواجد في السجن، والحراس لا يستطيعون فتح باب الزنزانة لأي سبب كـان طوال الليل، الا بأمـر الضـابط.. !! يصـيح أحـد الحـاضـرين: يا بو سعد؟ فيجيب المعني : ماذا تريد؟ فيرد عليه الأسـير: نريد أن نجد حلاً لما أصـاب زمـيلنا من ألم شـديد في بطنه!. ويزيد صـيـاح «خليفـة» من الألم، والكل يرقب الموقف!!بعد حديث متبادل ، يفتح الحارس الزنزانة ويُخْرِج «خليفـة» الى الخـارج كي يرى الحـارس مـاذا بإمكانه أن يفـعل له!!! الانتظار مزعج!.. فماذا جرى لخليفة؟ وأين أخذه أبو سعد هذا؟!.. وبعد قليل، واذا بأبو سعد وزميلٌ له و«خليفه» يضحكون جميعا في طريقهم الى الزنزانة!! لقد كان خليفة جائعا لدرجة أنه كان فعلا سيموت من الجوع هناك لولا « خبزة» !!!

أما ما كان غريبا فهو مابدأت أحداثه تشاهد بالعين المجردة يومَ ١٩٩/٢/٢٧م ، فهناك شيء مـا . غريب وفي الخارج !!! فالحراسة على السـجن باتت مشـددة كثـيرا في هذا اليـوم !! قوات اضـافيـة.. أسلحـة مختلفة.. رشاشات كلاشنكوف.. مدافع الهاون.. بازوكا..ذخيرة..رشاش عيار «٥٠» نصب في الاتجاه المقابل لمدخل السجن، وجلس مستعدا خلفه

أحدهم!!.. في تمام الثانية عشرة من بعد منتصف الليل. زار قائد الأمن العام في تلك المحافظة سجن "الخناق" وبعد دخول موكب عسكري كبير.. وبعد ترجّل ذلك القائد وحراسه من مركبته.. اتجه مباشرة الى أسفل المكان الذي يعتليه ذلك الجندي المفترض فيه حراسة بوابة السجن الذي دخل منه القائد.. والذي كان من وقت دخول القائد بموكبه ... الى أن قال له القائد بالحرف الواحد:«انت نايم يا حذاء»..!!! كان الحارس نائما طوال هذه الفترة!!!

مع بداية يوم ١٩٩١/٢/٢٨م بدأت الأحداث تزداد غرابة! فلقد سمع الجميع من مسافة بعيدة جدا، أصوات اطلاق نار تأتي متواصلة لفترات قصيرة !! ماذا حدث في الخارج؟! الكل يتساءل.. والأنظار جميعها تتجه الى الأسرى العراقيين.. فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يجيبوا على هذا التساؤل المشترك..!!

فسّر بعضهم ما يحدث بأن العرف قد جرى، في حال عودة الجنود من جبهة القتال، أو في حال إحضار جثث من الجنود القتلى الى ذويهم، يعبّر الأهالي عن مظاهر الفرح هذه، باطلاق النيران في الهواء من الرشاشات التي بحوزتهم!!..

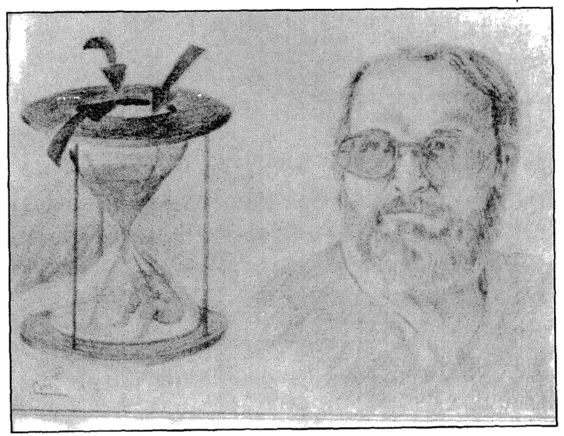
مرت ساعات هذا اليوم رتيبة كسابقاتها خالية من الأحداث الا من بعض أصوات النيران المسموعة من بعيد!!

ويأتي يوم ١٩٩١/٣/١م ليصحو الجميع على أصوات النيران التي كانت بعيدة، حيث بدأت تقترب وتكاد تكون على مسافة بعض الكيلو مترات!!!

لا زال الجميع يعتقد بأن ماجاء في تصريح الأسير العراقي

صحيح!! جثة.. أو شهيد = اطلاق نار..!! في الهواء..!

نجلس عصر ذلك اليوم نرقب الأحداث ونضع في الحسبان بعض الاحتمالات القائمة والتي لم نكن متأكدين من صحة أي منها لانقطاعنا عن العالم الخارجي فترة ليست بالقليلة!! واذا بأصوات النيران البعيدة القريبة تعلو، وما هي الا ثوان حتى سمعنا صوت قذيفة!.. التفتنا جميعا الى الأسير العراقي صاحب التصريح ، ولسان الحال يقول :جثة أوشهيد = اطلاق نار.. فَهِمْنا معناها، اذن اطلاقُ قذيفة مدفع، ماذا تعني لديكم ؟؟!!



الأسير.. والزمن

ارتباط الأسير بالزمن وبالاخبار الخارجية.

مواجهة بين «اللابشر» و«المجهول»!!!
(٢٥)

كانت أول قذيفة أطلقت من خارج السجن ومن قِبَل من لم نكن قد عرفنا هويته بعد ، كانت الدليل الثابت على أن ما كنا نسمعه من اطلاق نار كثيف بعيد ومن ثم قريب ما هو الا حدث هام!!..يجتمع الأسرى العراقيون فيما بينهم.. أنهم يتشاورون في أمرٍ ما!!!.. بدأت الأفكار تراودنا في ماهية الأمر.. هل قدمت قوات التحالف الدولي، والتي طال انتظارها. لتحريرنا؟؟!!هل قدمت قوات سعودية - كويتية - خليجية...فقط.لتحريرنا ؟؟؟ . هل وقع انقلاب على نظام صدام حسين في داخل العراق، وأن ما نسمعه ما هو الا اطلاق نار متبادل بين أطراف الانقلاب؟؟!!! .. لم نستطع جميعا الاجابة عن هذه التساؤلات.. بينما لاحظنا أمرا غريبا تمثل في لبس جميع الأسرى العراقيين أحذيتهم.. !! تمهيدا لحدث ما.. سيقع قريبا.. وقريبا جدا!!!؟

يوم الثاني من مارس لعام واحد وتسعين، كنا نرقب طوال ساعاته،قرب المسافة بين السجن وبين مصدر اطلاق النيران،، والمدافع الرشاشة والثقيلة أيضا. !! .. ، واشتد الوضع خطورة في يوم الثالث من مارس لعام واحد وتسعين..حين استعد جنود «اللابشر» لمواجهة يظهر انها قوية مع القادمين الجدد!! مما يعني أن معركة ما ستقع في محيط موقع السجن!! ، بين حرس السجن والتعزيزات التي ألحقت بهم لمدة أربعة أو خمسة أيام خلت.. وبين من كان قادما من بعيد . !!! مما يعني أيضا، وبغض النظر عن هوية الطرف الثاني من المعركة، أننا سنكون في منتصف ساحة القتال !! فلا السجن بمسلحٍ بناؤُه!.. ولا يوجد هناك

مخبأ نختبئ فيه كعزّل ، عن ساحة التقاتل!!.. ومما زاد من هاجسنا بقرب وقوع حدث دموي في الخارج هو بدء حرس السجن بعدم المرور من ناحية الزنزانة، أو حتى في ساحة السجن ، بل كنا نراهم يتوزعون على زوايا السجن وفوق سطحه!!!

وفي فجر يوم ١٩٩١/٣/٤م سقطت أول قذيفة على سجن «الخناق» ، وتسببت في نشر الذعر بين صفوف «اللابشر»، الذين هلعوا كلٌ الى مكانه، وارتدى البعض منهم كامل عتاده واستعد الى بدء المواجهة!!.. ويبدأ تبادل اطلاق النار بين «اللابشر» و«المجهول»، بقذيفة أخرى من الخارج سقطت في احدى زوايا السجن.. وحتى نهاية هذا اليوم كانت القذائف متبادلة بين الطرفين، لدرجة أننابدأنا نعرف متي ستسقط القذيفة التي أطلقت من داخل السجن على المكان الذي اطلقت تجاهه، وفي أي ثانية بعد الاطلاق!!! وعلى العكس من ذلك بدأنا نعرف أيضا وهو الأخطر، موعد سقوط القذيفة القادمة من «المجهول» بعد اطلاقها باتجاه السجن،وفي أي ثانية بعد الاطلاق!! ولكن ما كنا نجهله هو ، أي مكان ستقع فيه تلك القذيفة؟!!!...

وقعت احداها في غرفة حرس السجن الملاصقة لزنزانتنا على اعتبار أنها تقع في الصف الأخير من الساحة ، والذي ينتهي بغرفة الحرس.. !! وكادت هذه القذيفة أن تهدم الزنزانة على رؤوسنا جميعا..!! حتى كادت المروحة المعلقة في سقفها أن تسقط من هول الانفجار فوق المكان الذي من المفترض أن يكون خاصا بي، ففيه أنام وأجلس !!! ولكن

في تلك اللحظات كان الأربعون أسيرا تقريبا يَحْتَمُونَ بزاويةٍ بعيدةٍ عن باب وشباك الزنزانة، أملا في الوقاية من شرور وآثار هذا القصف المكثف..!

ويبقى الحال كذلك لدرجة أن هناك من نام لشدة اعيائه، وأفاق من نومه على صوت قذيفة أخرى، سقطت على احدى الزنزانات المجاورة فجر يوم ١٩٩١/٣/٥!!!!

يوم الخلاص .. المؤقت !!!

(٢٦)

كان يوم الخامس من مارس كسابقهِ رُعْباً!! وقلقا!! وبركة من الله سبحانه وتعالى حين لم تسقط قذيفة ما على زنزانتنا، بينما من وقعت على زنزانتهم من المعتقلين العراقيين المحليين فجر يوم ١٩٩١/٣/٥م ، جَرَحَتْ بسبب تساقط الطابوق على من فيها ،جرحت أحدهم برأسه وآخر بيده فقط !!!

حينها بدأ الصراخ يعلو في السجن من قبل كل المعتقلين: أخرجونا من هنا؟ الكل ينادي أياً من «اللابشر» !!لا تتركونا نموت هنا يا بوسعد؟ (أحد الأسرى المتواجدين معنا ينادي أبو سعد) ولا حياة لمن تنادي حتى الليل... حين حضر أبو سعد بعد أن هدأ اطلاق النار وساد الهدوء النسبي ساحة المعركة.. أبو سعد: يا اخوان !! اهدأوا وسوف أنادي الضابط ليشرح لكم ما يحدث في الخارج ويهدئ من روعكم!!.. ويحضر الضابط «الحقير» ويقول : هناك بعض أبناء «الكلاب» في الخارج، في حاجة الى تأديب فلا يخف أحدكم، وسوف نجلب لكم الطعام والشراب بعد أن ننتهي من المهمة البسيطة الموكلة الينا في الدفاع عن السجن!!!

لم نكن قد أكلنا أوشربنا طوال اليومين الماضيين، وبالأحرى لم نكن نفكر أو نحس بالجوع أو العطش أمام هذا الموقف الجديد، والعصيب !!

لم تذق العيون النوم في تلك الليلة.. فبوادر خسارة «اللابشر» في المعركة واضحة جدا، وكان ما أكد لنا ذلك فى الداخل، هو بدء جند «اللابشر» بتغيير الملابس العسكرية، الى أخرى أهلية!! بالاضافة الى القتال الدائربين الطرفين والذي كانت تستخدم فيه مدفعية ثقيلة.. وحينما اشتد هذا القتال في منتصف يوم ١٩٩١/٣/٥م ،وفي الليل ،حدث موقف مضحك بين صفوف «اللابشر» حين اتضح لقائد السجن أن جنود

الجيش الشعبي البائس والذين سبق ان استعان بهم حرس السجن كتعزيزات عسكرية في مواجهة المخاطر المحتملة من الخارج..!!لا يعرفون كيفية استخدام مدافع البازوكا. أبدا!!.. مما زاد من سوء موقف «اللابشر»..

يستمر الحال من سيء لأسوأ بالنسبة لهم!!! ومن حسن لأحسن بالنسبة لنا لقرب الخلاص.. أي خلاص كان!!!. وحتى صباح يوم ٦ /١٩٩١/٣م حيث وفي تمام العاشرة والنصف من صباح هذا اليوم حضر ضابط «اللابشر» لتهدئة الوضع الصعب الذي كان جميع المعتقلين يعيشونه.. قال الضابط: يا اخوان المسألة باتت مجرد نصف ساعة وستخرجون جميعا!! اهدأوا فقط!! حسنا سنهدأ.. لا حول ولا قوة .. الا بالله..

وفي تمام الحادية عشرة صباحا لم تطلق رصاصة واحدة من السجن!! وبدأ في الوقت ذاته جميع المعتقلين بالعمل على كسر أبواب الزنزانات، ومنهم من أفلح في ذلك وخرج ليكسر الباب الذي يليه وهكذا ، بدأنا نحن في العمل على كسر الباب ولكن لم نفلح جميعا في ذلك وما هي الا لحظات معدودات.. حتى حضر شاب يرتدي الملابس الشعبية،وبيده رشاش كلاشينكوف وبادر باطلاق النار تجاه قفل الباب حتى كسره.. وصاح فليخرج الجميع!!! ابشروا جميعا!.. لقد سقط نظام الطاغية صدام حسين، وعاد صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الى بلاده حاكما من جديد!! يالله..هل يعقل أنناسنعود الى الحياة مرة أخرى؟ أم لا ؟! ومن هو هذا الرجل؟!.. وماذا سنفعل اذا خرجنا من السجن؟ أين سنتجه؟.. لليمين.. للشمال.. للأمام.. أم للوراء؟؟!!! .. لم نكن نعرف ماذا يتوجب علينا أن نفعل حينها.. فقط!!..

يوم الخروج .. الى الثورة!!!

(٢٧)

في لحظات قررنا أن نخرج جماعات مكونة من عشرة أشخاص على الأقل وعلى أن تلتزم كل منها بمصيرها الجديد!!!

امسكت اخي " احمد" «رحمه الله» بيدي اليمنى والأخ "نجيب ابراهيم جابر" باليد اليسرى، وأمسك هو بدوره بيد "عادل السداني" الذي أمسك بالأخرى يد ابن عمه "عبد الناصر السداني "وهكذا حتى بلغ عددناعشرة رجال..

خرجنا من الزنزانة بعد توديع البقية واذا بي أرى مجموعة من الناس تبحث عن أصدقائها وأقربائها من بين المعتقلين!.. وأخرى تحاول أن تحصل على سلاح من الذي تركه «اللابشر» خلفهم!.. وآخر يحمل عددا من أقراص الخبز ويأكل بشراهة!!. زاد عدد الثوار المسلحين في السجن . يتجه أحدهم صوبنا!..!.. ويقول : من أنتم؟!! فاجبنا : نحن أسرى لدى قوات «اللابشر» !!!. فيقول :حمدا لله على سلامتكم جميعا .. وسوف أقودكم الى خارج السجن !! شكرا لك. وبدأنا نسير بين حشود المعتقلين الذين إزداد عددهم بشكل كبير وحيث اتضح لنا أن السجن فيه أماكن اعتقال كثيرة غير تلك التي شاهدناها!!!..

في طريقنا الى البوابة الرئيسية.. وتحت المظلة السابق شرح ظروفها في حلقة سابقة(١) كان الأسرى المفرج عنهم يحرقون السجن من الداخل انتقاما من الطغاة!! والفوضى سائدة .. والى المجهول القابع خلف البوابة الرئيسية نسير!!!..

لدى وصولنا اليها خرج المسلح أولا وبدأ باطلاق نيران رشاشه على آخرين في الخارج !.. يا الهي.. ماذا يحدث؟ فأمامنا مواجهة مسلحة.. وخلفنا هناك من يحرق السجن!!!...

---

(١) انظر الحلقة رقم ٢٢

مـا هي الا لحظات حـتى قـضى المسلح على من كـان يطلق النار باتجاهـنا.. هيا أخرجوا. فخـرجنا.. واذا بنا أمـام مـجموعـة كبـيرة من الأهالي والثوار المسلحين!!. هناك من يجلس على الرصيف يبكي عزيزا فـقـده.. وهناك من يبـحث عن ابنه في هـذا الزحـام.. تمر في هـذه الأثناء مركبة نقل جلس بهامن الخلف عدد من الثوار المسلحين وبينهم اثنان من المصـابين !!.. وهنـاك أيضـافي الجانب الآخر من الشـارع ذاته من يجـر خزانة ملابس كان قد سرقها للتو من أحد الغرف الملحقة بالسـجن!!!.. مجموعات كبيرة من البشر تسير في الاتجاهات الأربعة!! ويستمر الثائر في قيادتنا سيرا.. الى أن وصلنا بعد مئات من الأمتار تقريبا من السجن الى قرية صـغيرة قريبة.. استقبلنا مالك أحد المنازل المتواضـعة هناك،، وأدخلنا الى مجلس الاستقبال في منزله الذي تتصـدر جدرانه صورٌ أربع لأبنائه الذين فقدهم بسبب الحـرب العراقية -الايرانية!!! وكـانت تجلس كذلك أمـه وزوجتـه وابنتاه. والكل يردد: حمدا لله على سلامتكم!! لقد ثار الشـعب العـراقي بأكمله على الطاغـية بعـد أن تحـررت الكويت في يوم ٢٦/٢/١٩٩١م وانسـحب جيش الطاغية، وقُتِلَ من افرادِه الكثيرَ الكثيرْ.. وأن قيادة الثورة الآن تحشد قواتها لتتجه الى بغداد!!! الحمد لله كثيرا على هذا الحال.. «المؤقت»!!..

بعـد أن اغتسلنا بقليل من الماء.. وشربنا بعضـه.. ومن ثم شـربنا الشـاي لدى أسرة هذا الرجل الكريم، قررنا السـيرفي الاتجاه المؤدي الى الكويت!! كيف سنصل ؟.. هناك قـوات فـرنسـيـة، حـسب ادعـاء الرجل،

تتمركز على بعد مسافة تبلغ خمسين كيلو مترا من هنا. وأنه يجب علينا كي نصل ، أن نعبر النهر مرة أخرى!!!

حسنا.. على بركة الله.. شكرنا جميع من كان في ذلك المنزل على ما أبدوه من انسانية تجاهنا وحسن معاملة.. وانطلقنا مشيا على الأقدام في الاتجاه الذي حدده لنا ذلك الرجل .. وبرفقة ثائر جديد..!!

بين أيدي الثوار. لِليلةٍ واحدة!!!

(٢٨)

بدأنا السير .. ظهر ذلك اليوم (٦ /٣/١٩٩١م) في الاتجاه الذي رسمه ذاك الرجل، لذاك الثائر .. وبينمانحن كنا نسير، كانت النيران في كل اتجاه تشتعل .. واطلاق الرصاص من كل مكان يسمع . وأصوات المدافع تكاد لا تنقطع.. بعد عشرة كيلو مترات تقريبا من مكان الانطلاق. توقفنا قليلا كي يتفق الثائر المرافق، مع ثائر جديد ،على أن يكمل بنا الطريق، وفعلا رافقنا آخر الى مسافة عشرة كيلو مترات أخرى تقريباً، وبعد تلك العشرة رافقنا ثالث بعد انتهاء مهمة الثاني.. وكنا نسأل الثوار طوال فترة سيرنا المسافة التي قطعناها، عن أسباب دمار منزل أو جسر أو مصنع ما ، فكانت الاجابات بأن المنازل سقطت بفعل الشظايا المتطايرة من القذائف التي اسقطتها طائرات قوات التحالف على تلك الجسور والمصانع الحربية(يشير بيده الى مسافة ليست بقريبة)..انه النهر.. لقد وصلنا أخيراً الى ضفة النهر التى سنعبرها الى اليابسة(١) الأخرى، وصولا الى القوات الفرنسية!! ولكن كيف سنعبر جميعا هذا النهر؟!!

أشار علينا الثائر المرافق بالانتظارالى أن ترسو ناقلة بشر -ومعدات، كبيرة، سوف ترسو في هذه الضفة بعد دقائق..

في هذه الأثناء ، كان بعض الأهالي الذين يقطنون قرب هذه الضفة . كانوا يصنعون الخبز عن طريق الأفران الموقدة نارها من الأعشاب اليابسة والأخشاب.. حين كنا في تلك الدقائق نجلس الى جوار امرأة عجوز. تزودنا بالخبز من ناحية..وتدعو الله أن يعجل في قتل صدام

---

(١) اي ليست بسبب قصف مباشر ومتعمد على الاهالي المدنيين.

حسين من ناحية أخرى!! ونحن نشاركهاالدعاء. ماهي الا دقائق حتى رست الناقلة المنتظرة. اركبوا جميعا؟! ركبنا ومجموعة من الأهالي ترغب في الوصول الى الضفة الأخرى. دقائق أخرى وترسو الناقلة في الضفة الثانية بعد أن كان الأهالي ونحن معهم ندعو الله أن يفك قيد جميع الأسرى.. الكويتيين.. الخليجيين والإيرانيين والعراقيين..!!

اتجهنا بعد النزول من الناقلة الى وجهتنا المحددة سلفا... وبعد عدد معدود من الكيلو مترات توقفت مركبة نقل وتبرع صاحبها بتوصيلنا الى وجهتنا .نحن العشرة وامرأتان أسيرتان كانتا قد رافقتانا في رحلتنا هذه. ركب الجميع وأصبح شكلنا، كما الكثير من الفلاحين الذين يركبون جميعا عربة واحدة يجرُها حصان واحد!!.. وفجأة يتوقف السائق أمام أحد مقار الاستخبارات!! ويترجّل وباتجاه المقر يسير ، مع مجموعة كبيرة تدخل وسلاحها بيدها وتخرج ومجموعة من الأسلحة والذخائر الجديدة بحوزتها!!.. أحد الأهالي يقول: هيا.. ادخلوا وخذوا ما طاب لكم من سلاح وذخيرة!!فأجبنا . شكرا!! ما نريده هو الوصول الى تلك القوات الفرنسية القابعة على بعد ثلاثين كيلو مترا من هنا، لا الحصول على السلاح والذخيرة!!.. بعد لحظات عاد سائق المركبة وانطلق بنا من جديد في الاتجاه المحدد، ولكنه عاد وتوقف مرة أخرى أمام ثكنة عسكرية ثورية.. زودها بذخيرة سلاح مضاد للطائرات، وأكمل المشوار الى أن وصل بنا الى تجمع أهلي، رَحَّبَ رواده بنا أجمل ترحيب، ومن ثم أوقفوا باصا كبيرا يقلّنا الى وجهتنا الأخيرة.. ركبنا ذاك الباص المخصص أساسالنقل الجثث والجرحى !!!

دقائق أخرى واذا بتجمع مماثل ،ولكن عدده يفوق الأول ويتجمهر قرب أحد المساجد في منطقة السماوة.. أهلا بالأبطال.. أهلا بأبناء الناس الذين ساعدونا وأحبّونا، وذلّهم الطاغية حاكم بغداد!!! إلى بيت المختار أخذنا الأهالي ..رحب بنا وأدخلنا منزله.. وأخذ يواسينا في مفاجعنا ومواجعنا ويهنئنابعودة الحق لأصحابه.. وبعد قليل أتت مجموعة أخرى من الأسرى،الذين خاضوا تقريبا نفس المخاطر التي خضناهاوقام الأهالي والثوار بايصالهم الى نفس المكان..

العناق حار والدموع أحر من الجمر. أيعقل بعدكل هذه الأيام من الأسر أن يأتي اليوم الذي نخرج فيه من ذلك «الخناق»؟!!

خبزٌ حار.. بيض.. وشاي!! بالنسبة لي كانت هذه ألذ وجبة أكلتها لخمسة واربعين يوما خلت . نظيفة ..طبيعية.. وأهم ما فيها أنها حلال!!!

يدخل أحد الثوار من الخارج ويقول : لا يزال القتال يقع ضارياً بينهم وبين «اللابشر» ، مما يقطع الطريق أمامنا للوصول الى تلك القوات الفرنسية.. وعليه ننصحكم بالمكوث هنا الليلة.ضيوفا على أهالي السماوة.. ريثما يتم تطهير تلك المنطقة، من بقايا «اللابشر»..!! الأمر لله.. ليلة أخرى ..لنرى ونسمع ماذا سيحدث خلالها!!..

قبل الرحيل... !!
(٢٩)

حتى عصر يوم ٦ /٣/١٩٩١م ، كان قد تجمع في منزل المختار والمنزل المجاور له في «السماوة» ، ما يقارب من الثلاثين أسيراً ، كان معظمهم ممن كانوا معتقلين في أماكن غير تلك التي كنا معتقلين بها!!. وطلب المختار من أصحاب المنازل المجاورة له، أن يستضيف كل منهم خمسة أو ستة من الرجال الأسرى حتى صباح الغد (٧ / ٣ / ١٩٩١م) على أن يتم اطعامهم والإعتناء بهم من قبل الجميع..

وفعلا ذهبنا أنا وأخي وثلاثة آخرون، الى أحد المنازل، وتفرّق باقي الأسرى في منازل قريبة ومكثت النساء في بيت المختار... ولدى دخولنا غرفة الاستقبال في ذلك المنزل المخصص لنا وجدنا أيضا ثلاث صورٍ لثلاثة أبناء فقدهم صاحب المنزل في الحرب العراقية -الايرانية!! . والواضح أن هذه سمة الكثير من البيوت التي تتصدر صور الشهداء الذين دفع بهم الطاغية الى ساحات القتال، جدران غرف الاستقبال فيها..!!

أنها الخامسة مساء تقريبا.. والى بيت المختار.. حيث كان الأهالي قد فرشوا لنا الأرض في الخارج بالسجاد، سرنا حتى نجلس عليه، ونستقبل من كان يرغب منهم بتقديم التهاني لنا بمناسبة الافراج..

وتثور زوبعة مؤقتة، في الساحة القريبة منا!!.. لقد ألقي القبض على أحد جنود «اللابشر» ممن كانوا من أهل المنطقة، والذي كان قد عاث بها فسادا ، عندما كانت الغلبة لنظام «صدام».. حيث كان يلقي القبض على من يشاء ويجبي الأتاوات ممن يشاء.. ويغتصب وجماعته نساء من تخلّف منهم عن أداء الواجب حسبما يعتقدون!!!.. يصيح أحد الثوار: هيا يا شباب ، فلتروا بأعينكم مصير الخونة، المناصرين للطاغية !! ذهبنا معه، واذا بتجمّعٍ قريب ، من مكانٍ كبير تُجْمَعُ فيه النفايات عادة..

الأهالي يترقبون ماذا سيحدث؟! . يُجلبُ الخائن، مكبلاً، ومن الواضح أنه ضرب حتى الثمالة !! أمام ساحة الفضلات ، يصيح من أمسك به ، ويقول: ان هذا الخائن كان قد ارتكب بحقكم كذا وكذا، ولقد حان موعد القصاص!!! صمت جماعي لبُرهة. قطع ذلك الصمت تلك الرصاصة التي أطلقت على رأس الخائن والذي خرَّ صريعا بدوره في مكان القمامة!. يلفظ أنفاسه الأخيرة.. وأخذ الأهالي يزغردون فرحا والثّوار بدأوا باطلاق النار في الهواء ابتهاجا بهذه المناسبة !!! يا الهي: أين نحن؟!! وماذا نرى؟! لا رحمة.. ولا هوادة مع حزب «العبث» وأزلامه!!

نعود الى حيث كنا ونجلس هذه المرة، مع مجموعة من الثوار الذين شارك البعض منهم في غزو الكويت في الثاني من أغسطس لعام ألف وتسعمائه وتسعين المنصرم!!.. لم أتمالك نفسي أمام هذه المناسبة ، فبادرت بسؤال أحدهم:كيف بدأت ثورتكم على النظام الحاكم؟ ! فأجاب : لقد قام الطاغية بتوزيع رشاشات الكلاشينكوف على جميع الأهالي، وكذلك الذخيرة ، وطلب من الجميع أن يدافعوا عن أنفسهم في حالة وقوع هجوم من قوات التحالف ضدهم!! فما كان منهم الا أن ثاروا عليه بذلك السلاح الذي وزعه عليهم، وأن هذه الثورة قائمة في جميع مناطق الجنوب ،ففي الزبير والبصرة والناصرية وغيرها يدور هناك قتال عنيف بين الثوار وبين قوات صدام حسين بقيادة ابنه «عدي» الذي يستخدم السلاح الكيماوي في محاولة منه لقمع الثورة!! وكذلك الموصل.. وان شاء الله سوف نقضي على صدام خلال فترة وجيزة!!

وأوجه له السؤال الثاني: حسنا.. طالما أنكم الآن ثوار على نظامكم الحاكم، فكيف شاركتم في غزو الكويت واحتلالها؟.. فأجاب: لم نكن نعلم بأنناسنغزو الكويت أبدا! كل ما هنالك أنهم جمعونا

وأمرونا بالتحرك في اتجاه معين، وزودونا بخرائط لمنطقة لا نعرف جغرافيتها من قبل، ولكن أقسم بالله العظيم اني لم أطلق رصاصة واحدة على كويتي واحد، كل ما هنالك أن من لا يشارك في عمل عسكري يطلب منه المشاركة فيه، يكون العقاب بحقه جماعيا، بحيث يَطاَلهُ وأهلُه وحتى عشيرته!! سامحونا على كل ما حدث! فها أنتم ترون بأعينكم العراقيين الأصليين الذين اختلطت أنسابهم معكم في الكويت والسعودية وغيرها من الدول المجاورة،نحن أهل العراق.. نرجو منكم ابلاغ تحياتنا الى جلالة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله وشعبه والى صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح حفظه الله وشعبه.

نقاش يتحول الى شرح أسبابَ قتل العراقيين في الكويت أثناء الاحتلال من قبل أفراد ومجموعات المقاومة، خرج منه الثوار مقتنعين بأن من قتل نفساً بريئة، أو هَتَكَ عرضا أو واقع شريفة، أو سَرَقَ أموالا نظيفة،بقصد القتل والهتك والمواقعة والسرقة، يجب أن يناله هذا المصير!! وأن من يقضي على هذه الفئة الضالة من الناس يجب أن يكون بطلا أثناء اعتقاله وليس هناك مجال لتعذيبه أو قَتْلِه والتمثيل بجُثَتِه!!!

تدق الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٦ /٣/١٩٩١م أجراسها.. تفرّق التجمع.. كلٌ الى المنزل المخصص له ،وكل منهم الى منزله.. ففي الصباح الباكر، سوف يقلع الموكب باتجاه القوات الفرنسية!!!

بداية الإحساس ببعض الطمأنينة!!!
(٣٠)

لم نستطع النوم في تلك الليلة،غير الآمنة،كسابقاتها من الليالي!!!
فما سيحدث الآن أوصباح الغد، غير معلوم!! صحيح أنه كانت هناك حراسة مشددة على الحي الذي نقطنه!! والثوار اضافة الى ذلك ، يحرسون أبواب المنازل التي تؤوي الأسرى، ولكن لم يكن هناك ما يشير الى استمرار تحسن الأوضاع أو إبقائها على ما هي عليه..!، اذن فلا بد أن يحدث شيء ما ، أو ردةُ فعلٍ انتقاميةٍ من قبل قوات نظام «صدام حسين»!!

تشرق شمس صباح يوم ٧ /٣/١٩٩١م ، ويفيق من كان نائما من الأسرى .. ويتناول الجميع طعام الافطار.. الكل يستعد للمغادرة..

قمنا بعد التجمع مرة أخرى ، بتوديع جميع أهل الحي، ووعدناهم بتكرارالزيارة، عندما يسقط نهائيا نظام حكم «اللابشر» لهم!!! يقول أحد الثوار: سوف تستقلون جميعا هذه الشاحنة (ويشير اليها بيده) التي ستقلكم بدورها الى القوات الفرنسية المتواجدة على أعتاب«الناصرية» .. حسناً .. ركِبَ الجميع في مؤخرة تلك الشاحنة، بالاضافة الى أربعة رجال مسلحين من الثوار.. جمع هائل قام بتوديعنا الى اللقاء.. الى اللقاء..

وانطلق الموكب باتجاه الهدف . مررنا على ثلاث نقاط للتفتيش على الطريق.. كانت كلهاتابعة للثوار، ولدى وصولنا الى المكان الذي كان من المفترض فيه أن يكون مقرا للقوات الفرنسية، لم نجداً أحد فيه!!!.. ما العمل ؟!!! يقول أحد الثوار: بما أنهم غير متواجدين هنا، فلقد بات من المؤكد أنكم تواجهون الآن حلا واحدا... ألا وهو السير على الأقدام

مرورا بالناصرية ومن ثم البصرة فالزبير فالكويت أخيراً !!!

«عدي» ابن صدام حسين و«علي حسن المجيد» يقودان مجموعةٍ كبيرةٍ من «اللابشر» ، ويحاولون استعادة الوضع بأي شكل كان ، في المناطق الثلاث، ونحن يجب علينا أن نقطع هذه المسافة التي ، لا نعرف عنها شيئا.. سيرا على الأقدام!!!

يكاد الحل أن يكون غير معقول وغير منطقي.. ! سألنا: هل من حل آخر؟!!

فأجاب أحدهم : توجد قوات أميريكية متمركزة بالقرب من «الناصرية» علهم يستطيعون أن يرشدوكم الى طريق معسكر الصليب الأحمر!! فصحت قائلا: من الأنسب لنا أن نذهب الى قوات أميريكية، فهي على الأقل من السهل التفاهم معها بسبب إلمام مجموعة منا ، باللغة الأنجليزية وعوضا عن الفرنسية.

فلنذهب هناك.. وفعلا،انطلقت تلك الشاحنة، الى الوجهة الجديدة،وبعد ما يقارب العشرين كيلومترا من مكان القوات الفرنسية السابق، رأينا معسكر القوات الاميريكية في أحد المساحات الشاسعة المترامية الأطراف من جنوب العراق!!

ومن الملاحظ أن هذه القوات كانت تتمركز قرب قرية صغيرة جدا،ارتاح أهلها من تمركز تلك القوات بقربهم ، حيث الأمان والاحترام، والانسانية،والطعام والعلاج.. الذي لم يوفره لهم حاكم ذلك النظام..!!!

ها قد وصلنا الى ذلك المعسكر.. الذي أشْهَرَ كلُّ رجالِهِ في بادئ الأمر أسلحتهم في وجوهنا!! ولم يبعدوها عنا .. حتى تأكدوا أننا فعلا

أسرى حرب..!! بعد ذلك.. المريض تم نقله الى العلاج فورا.. !! والسائل عن حال الكويت، أجيب له سؤاله فورا!! ومن أراد أن يغتسل كما شاء!! اغتسل فوراً..!! ومن كان جائعا. أكل ما يشاء من الوجبات المعلبة والمجهزة خصيصا لحالات الجوع الطارئة..والمناسبة!!!

وبعد أن تم تنظيم العدد، بحيث يسير الجميع برفقة الجنود الاميركان مسافة خمسمائة متر الى الأمام،ووصولا الى مدرسة مهجورة، تم تجهيزها مؤقتا لايوائنا في أجواء الحرب هذه، مدة ليلة واحدة، تمهيدا للبت في مصيرنا، وذلك كله، بسبب أننا لجأنا الى قوات أميريكية دورها هجومي فقط، وهي غير مختصة بشؤون الأسرى وغيرهم، فمهمتهم فقط،وضع حد لطغيان «اللامعقول».. !! تم توفير السكن الملائم مؤقتا ريثما يتم ترحيلناالى خارج العراق..!!!

يوم مغادرة ذاك المكان..
الى أرض الأمن والأمان!!!
(٣١)

حرصت القوات الأميريكية المقاتلة ، والمتمركزة قرب قرية ومدرسة فقط، ويفصل بينهما مجرى نهرٍ ضيق،والباقي عبارة عن أرضٍ فضاء شاسعة، لا يكاد يرى المرء نهايتها. الحراسة مشددة من قبل الضباط والجنود.. الطائرات العمودية تملأ المكان، بالاضافة الى الآليات العسكرية الأخرى.. يُجْري كبارُ القادة اتصالاتهم بمركزِ القيادة في بلدي «المملكة العربية السعودية» لايجاد حلٍ لموضوعنا .. وأصوات الكلاب الضالة ،تخرق الصمت الرهيب والمخيِّم على المنطقة..

كنت أتحدث الى أحد الضباط الأميركان وحينها كنت اشرح له ما ورد في كتاب الله العزيز الحكيم، ما معناه، أن الانسان قد يُكره على شيء ،وهو خير له .. وأن ما نعتقد أنه خيرٌ لنا رغم الدمار والتشريد والفظائع التي ارتكبها النظام العراقي بحق جيرانه الآمنين المسالمين، هو فرصة تعرُّف العالم أجمع على منطقة الخليج العربي والتي كانت الفكرة السائدة لدى الدول الأوربية والأميريكية هي ، أن هذه المنطقة الغنية جدا بثرواتها الطبيعية،يتحكم بها مجموعة كبيرة من المتخلفين والبدو !! وأن كل فرد في هذه المنطقة يسكن في خيمة،وله جمل،وبعض الماعز،وبئر من آبار النفط!!!،وكان الخير لنا هو تواجد مئات الألوف من الجنود الغربيين في منطقتنا على الطبيعة،، مما أتاح لهم الفرصة في رؤية دول المنطقة، والتعرف على أبناء شعوبها المثقفين الواعين والحضاريين ، فمنهم المحامي والطبيب والمهندس والمحاسب والعالِم والتاجر والأديب وكذلك أتاحت لهم فرصة التعرف على النهضة العمرانية، الحديثة، المواكبة لنهضتهم .. مما أثبت خطأ النظرة الإعلامية الدونية، لشعوب

المنطقة!!..

أخـذت بعـدها في الحـديث عن جـرائم الحـرب التي ارتكبـهـا «اللابشر» في حق الكويت والكويتيين والخليجيين عموما!!..

التقطنابعض الصور التذكارية، مع الجنود الاميركان.. وتم عمل لقاءات صحفية مع الأسرى ولصالح البنتاغون الأميركي. ومن ثم اتفقنا على اللقاء في الغد..

ويشرق صباح يوم ١٩٩١/٣/٨م .. ليأتي أحد الضابط ويبشرنا بنتيجة اتصالات القادة مع مركز القيادة ، حيث اتفقوا على ارسال مروحيات عمودية كبيرة، ستصل بعد قليل،وستنقلكم جميعا الى أراضي المملكة العربية السعودية الآمنة... فرح الجميع بهذا الخبر الأسعد.. والذي طال انتظاره، وفعلا بعد ساعة تقريبا من بشرى الضابط.. حطت مروحيتان كبيرتان تم توزيعنا فيهما على دفعتين... . لحظات توديع القوات الأميركية لناكانت جميلة..

ركبنا الطائرة العمودية العملاقة. وضعنا الأحزمة.. أقلعنا في سماء ارض «اللامعقول» مغادرين.. وبنظرة الى الضابط الأميركي المتواجد معنا آنذاك.. ألْفناه شابا في العشرينات من العمر.. يلَبسُ خوذة عسكرية، بها جهاز لاسلكي،ويمسك بيده كوبا كبيرا ، يحتسي منه الشوكولاته الساخنة..!! ويضع على أذنيه مكبراتٍ صوتيةً لجهاز تسجيل يضعه في جيبه ويستمع من خلاله الى شريط أجنبي راقص،وَضحَتْ نوعيةُ موسيقاه ، بسبب رقص ذلك الضابط ، وهز رأسه..!!

حينها قلت : سبحان الله.. فبالأمس القريب، زرعت بطوننا زرعا من ذلك التمر غير الصالح لاستهلاك الآدمي.. واليوم نرى الوجبات المغلفة، والشيكولاته الساخنة والضابط المنسجم مع موسيقى الروك الأجنبية!!! معقول؟!!. نعم معقول.. فبعد ساعتين تقريبا..حطت المروحيات العمودية على أرض بلادي، أرض البشر، وطلب منا الضابط النزول الى أرض القداسة والكرامة، أرض الاستقرار والرخاء، أرض الأمن والأمان.. وبمجرد أن وطئت رجلي أرض المملكة ركعت على الأرض وقبلت ترابها الطاهر.. الحمد لك يا رب على نعمك الكثيرة..

مشينا الى معسكر تابع لقوات التحالف في مدينة «رفحا» السعودية ،اغتسلنا بالمياه العذبة، وأكلنا مالذ وطاب مما وفرته لنا حكومة جلالة خادم الحرمين الشريفين مشكورة.. وبعد ليلة هنيئة كان للنوم فيها طعم مفقود، منذ شهور ثمانية سابقة، يحس الفرد فيها بأنه ينام وهو آمن... وموجود...!!

وفي صباح يوم ١٩٩١/٣/٩م طلب منا الضابط التحالفي الاستعداد لركوب الباصات الكبيرة المعدة لنقلنا الى مدينة حفر الباطن ، وفيها افترقت وأخي أحمد «رحمه الله» عن اخواننا الكويتيين، حيث عدنا الى أهلنا في المملكة العربية السعودية والذين لم يكونوا قد علموا عنا شيئا، ولم يسمعوا أصواتنا طيلة الشهور الثمانية العجاف...!! ولدى وصولنا الى منزلنا في المملكة العربية السعودية،كان جميع الأهل والجيران في انتظار القادمين من الجحيم، أنا وأخي . حيث أشكالنا ليست كالتي عهدوها وأوزاننا أضعف بكثيرمما كانت عليه...

وبعد أيام من انتهاءالرحلة غير المعقولة.. وفي تمام الساعة التاسعة من مساء يوم ١٩٩١/٣/١٤م وبينما كنت وأخي نجلس بين أفراد العائلة.. نتبادل الأحاديث عن مشاهداتنا في زمن اللامعقول!!!..سَرَحْتُ ما يقارب الدقيقة.. إلتَفَتَ أخي الأكبر صوبي.. وأخذ يناديني: فهد.. فهد.. فهد!! «اشفيك»؟!! أي ما بالُكُ؟!! فَرَدَدْتُ بعد تردد: أمعقول ما حدث؟!! ويجيب الجميع في وقت واحد: لا والله، فما حدث ليس بمعقول!!!... سبحانك الله الذي انجيتني من هذه الرحلة الكابوس، كي أكون شاهدا حيا لكل ما وسع ذاكرتي من أحداث وقعت وسردت بين ثنايا هذه الرحلة.. بكل أمانةوصدق ، على اعتبار أنها شهادة أمام التاريخ!! الذي لا يعرف تسجيل الشهادة غير الصادقة..

علّني في نهاية هذه الرحلة، أن أكون قد قدمت شهادة موثقة، حول جرائم الحرب «اللابشرية»، والتي لم تكن تصدّق في بعض الأحيان من قبل سامعيها، ها نحن هنا.. كتبناها كما شهدناها، بدون زيادة مع احتمال أن يكون هناك بعض النقصان.. بحسب ذاكرة الانسان.. في الوقت الذي استفاد فيه «اللابشر» بطريق غير مباشر من بعض ذلك من النسيان ..!!!

للعالَم .. نُوردُ دروسا .. وَعِبَراً..!!
(٣٢)

من هذه الأزمة الطاحنة. استخلصنا الكثير من الدروس والعبر.. التي نخشى مع مرور الأيام والسنين أن .. تتبخر !! لذا . رأينا أن نوردها لك عزيزي القارئ كرموزٍ ، مؤلفة ، من ألفاظٍ وجملٍ يُفهم منها معنى الخَبرْ!!!

الايمان بالله سبحانه وتعالى... الحق ... العدل... المساواة.. الانسان.. الحب.. الخير..التكاتف.. التعاون.. الايثار..التضحية..القانون..النظام.. الوطن.،. المملكة العربية السعودية..الكويت..مجلس التعاون الخليجي..

العالم والعالم الجديد..الوحدة ... أنظمة الحكم في منطقة الخليج العربي..

كل ما سبق ذكره يجعل الانسان في منطقة الخليج العربي انسانا.. شريفا.. عربيا.. مسلما. مبدعاً ، وقادراً على التعايش السلمي مع بقية بني البشر في كل بقعة من ارجاء المعمورة..بينما نجد أن الإلحاد. الباطل . الظلم.. التفرقة..الطائفية.. الكراهية.. الشر..الفرقة.. الاستبداد.. الانانية.. الفوضى.. الخداع.. النفاق..القتل..البطش. الاكراه..الذل..نظام حكم عسكري دكتاتوري دموي..!!! أنها صفات تجتمع في دولة معزولة عن اطار القواعد والنظم القانونية المستقرة والموثقة في مقر منظمة الأمم المتحدة..

ولا يمكن للعراق والعراقيين شعب ونظامْ .. أن يكونوا ضمن هذه الأسرة الدولية ،الا في حال التخلص من هذه الصفات التي لا تتناسب وأبواب القرن الواحد والعشرين!!

عزيزي القارئ.. نترك لك مجال البحث والتفكير في رموز الدروس والعبر التي نؤمن بأن الخيرٍ منها، يضمن لنا الأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي،أما من كان مؤمنا في سيادة الشرٍّر منها،فهو مما لا شك فيه أنه لن يجد لها بيئة أكثر بؤسا، من العراق ،وفي ظل نظام «اللابشر»!! وفي زمن «اللامعقول» .. الآن..!!

تم بحمد الله

فبراير ١٩٩٤

تنويه أخطاء مطبعية

عزيزي القارئ : لخطأ خارج عن إرادتنا ظهرت هذه الأخطاء في وقت الطباعة.. ولذا أقتضى التنويه .

رقم الصفحة	الكلمة الخطأ	الكلمة الصحيحة
ص ٣٥ السطر السادس الفقرة الثانية	ما حاولنا	حاولنا
ص ٦٢ السطر قبل الأخير	خروجهما	خروجهم
ص ٦٦ السطر الثالث الفقرة الثالثة	وسماح بالملابس	وسماح الفزاة لاهلهم بتسليمهم بعض الملابس
ص ٦٧السطر الأخير	مادام	ما حيا
ص ٧١هامش رقم ١	حديدة	حديدية
ص ٨٢ السطر الثاني الفقرة الثانية	والرطب	والتمر
ص ٨٣ السطر الرابع الفقرة الأولى	وخلفه	وخلفها
ص ١١٠ الكلمة الأخيرة من الهامش	المدينيين	المدنيين
ص ١١٦ السطر الرابع الفقرة الأولى	يحيث	بحيث
ص ١١٨ السطر الثالث الفقرة الأخيرة	لم نجداً أحد	لم نجد أحداً
ص ١٢٣ السطر الأول الفقرة الثانية	الضابط	الضباط
ص ١٢٣ السطر الثالث الفقرة الأخيرة	ألفناه	الفْناهُ
ص ١٢٣ السطر الخامس الفقرة الأخيرة	صوتية	صَوتيةٍ
ص١٢٥السطر الأخير	من النسيان	النسيانً
ص ١٢٨السطر الخامس الفقرة الأولى	التضيحة	التضحية

الطبعة الأولى ١٩٩٤





الكاتب في سطور

- فهـد بن نعيـم بن غالـب السيـــار
- مواطن سعودي ولد في الكويت بتاريـخ ١٩٦٢/١٢/٢٣م.
- خريج كلية الحقوق بجامعة الكويت.
- محامي يرأس الدائرة الدولية في مكتب محاماه كويتي ودولي.

عنوان الكاتب:

- ص.ب 22833
- الرمز البريد : 13089 كويت
- تلفون : 2407040
- فاكس : 2407030
- الكويـت - دولـة الكويـت

